المرأة المسلمة

دفئها ووفائها ودورها الإجتماعى

د. محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان



المرأة المسلمة

دفنها ووفاتها ودورها الاجتماعي

ⓒ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفوزان ، محمد أحمد
المرأة المسلمة نفائها ووفائها ودورها الاجتماعي.
/ محمد أحمد الفوزان - الرياض ، ١٤٢٨ هـ
١٢٨ ص؛ ١٧X٢٤ سم
ردمك : ٢ – ٦ – ٩٩٤٠ – ٩٩٦٠ – ٩٧٨
١ - المرأة المسلمة أ. العنوان
ديوي ٢١٩,١ رقم الإيداع : ٤٧٧٥ / ١٤٢٨

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع : ٤٧٧٥ / ١٤٢٨
ردمك : ٢ – ٦ – ٩٩٤٠ – ٩٩٦٠ – ٩٧٨



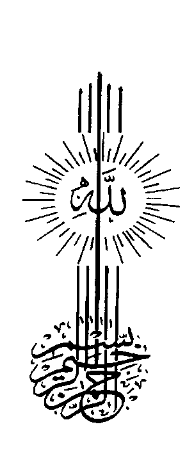
المـــرأة المسلمة

دفئها ووفائها ودورها الاجتماعي

تأليـف

الدكتور محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان
عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين جامعة الملك
سعود بالرياض
قسم التربية وعلم النفس

دار عالم الكتب
للطباعة والنشـر والتوزيع
الرياض - المملكة العربية السعودية


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



الإهـــــــداء

إلى الأم ، والأخـــت ، والزوجــة ، والابنــة ، والعمة ، والخالة إلى كل أنثى في أي مكـان . ليكـون هذا الكتاب بين يديها نبراساً ينير لها الطريق الصـحيح ويهديها إلى الصراط المستقيم .

د/ محمد بن أحمد الفوزان
عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالرياض
وعضو بمجلس الإدارة بالجمعية السعودية للتوحد

المدخل

الحمد لله، الذي خلق الإنسان في أحسن صورة وأجمل هيئة، وعلمه البيان بعد أن نفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ثم فضله على كثير من خلقه واستخلفه في الأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة تحمده وتستعينه وتشهد أن سيدنا محمداً بن عبد الله ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين، ﷺ وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وبعد:

نظرة الإسلام للمرأة أنها «إنسان» وهذه الكلمة وردت في اللغة العربية على أنها للذكر والأنثى، وقد وردت كلمة «إنسان» في القرآن أكثر من خمس وستين مرة، في حين لم يرد كلمة «إنسانة» ولا مرة واحدة وهذا من باب التأكيد على أن الإسلام خاطب الإنسان بصفة عامة حتى لا يستشعر أحد أن الإسلام وضع فارقاً بين الذكر والأنثى[1] حيث أن كل ما تضمنه الإسلام من عقائد وعبادات، وأخلاق، ومعاملات تتعلق بالإنسان، أي بكل فرد وإن كان هناك بعض الاختلافات في التطبيق فذلك حسب التكوين الجسماني لكل من الرجل والمرأة. وعلى هذا الأساس، فإنه ليس هناك مشكلة للمرأة في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية وأسسها، ثم لم يرد في القرآن أو السنة النبوية الشريفة إشارة إلى مشكلة خاصة بالرجل أو المرأة وعاش المجتمع الإسلامي في هذا المناخ الكريم ولم تظهر أي إشارة إلى ما يسمى بالمشكلة إلى أن جاءت دول الغرب غازية بجيوشها وفجورها إلى العالم الإسلامي تحت ذريعة نشر الحرية والديمقراطية. فطرحت هذه المشكلة ليجر المجتمع الإسلامي إلى دوّامة من المشاكل ومن ضمن هذه المشاكل طرح الغرب قضية المساواة بين الرجل والمرأة ومعاملتها على قدم المساواة وهذا يتنافى مع تعاليم الإسلام حيث خلق الله الذكر والأنثى وهما متساويان في الحقوق الدينية والواجبات الإسلامية، أما الوظائف الاجتماعية فإن الله منح كل نوع خصائص يتميز بها عن النوع الآخر وكل نوع له وظائف فكلف بها تتفق والخصائص التي بنى الله عليه جسمه وتم تكوينه فقد خص الله المرأة برسالة الأمومة، وخص الرجل برسالة الأبوة ثم إن كل نوع له فضائل وخصائص لا ينبغي أن يتمنى أحدهما ما للآخر، لأن العلاقة تكاملية بين الاثنين

[1] منصور الرفاعي عبيد ، المرأة ماضيها وحاضرها .

وليست علاقة تصارعية وإذا كانت المرأة لها استثناءات من حيث الشهادة والميراث وغير ذلك فهي مسببة، ولها شروطها وقواعدها المقررة في كتب الفقه والسنة النبوية، ولذا نقول للعالم ليس عندنا مشكلة للمرأة أو صراع بين الجنسين وأنهما جميعاً من نفس واحدة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (النساء، آية: 1).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢ ﴾ (النساء، آية: 32).

لقد نهض الإسلام بالمرأة ورفع من شأنها، وكان أثرها في تكوين الرجال وتصريف حوادثه أشبه ما يكون بأثر الغدير الهادي الفياض في زهرة الحدائق والبساتين ثم تعالوا لننظر إلى تاريخ المرأة العربية والمسلمة فهو تاريخ حافل بالصفحات المشرقة التي تعتز به حيث نجد أن المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها سجلت أروع الصفحات بعظائم الأمور مع مشاركتها للرجل في سياسة الأمة وولاية الأمر وجد العمل في مختلف شؤون الحياة ثم إنها أستاذة في التربية والتنشئة والتعليم والتوجيه لذلك ليست بالمخلوق الضعيف فالمرأة القوية سوف تبعث لنا أمة قوية فهي دعامة الكون الذي لا يزال ناهضاً قوياً ما نهضت هي به، فإن هي ضعفت وتخاذلت تهاوت عُمُدة، وتصدع بنيانه ومن هنا قيل عنها:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

هذه هي المرأة التي تتشرف الأمة بها فهي الوعاء الطاهر الذي لا ينتج إلا طاهراً إذا أحسن إعدادها والاهتمام بها أدبياً وعلمياً ورفع مكانتها اجتماعياً ولهذا أعددت هذا الكتاب الذي يحوي بين دفتيه موضوعات متعددة عن المرأة حيث يحتوي على موضوعات تصف المرأة وسحرها وجاذبيتها ودفئها وحنانها بهذا السحر والجاذبية هي المرأة التي لا تنسى، كما يحوي هذا الكتاب على

موضوعات تتعلق بالشخصية الحقوقية الكاملة وكذلك صفات المرأة الناضجة أو الفجة وكذلك صفات الرجل الناضج أو الفج ثم دور المرأة في التنشـئة الوطنيـة كما يحتوي حظ المرأة من الحياة كزوجة وفية، وأما وربة بيت عاملة أيضاً ثـم المرأة والغيرة وكيف تعالج المرأة الغيرة حتى لا تخرب بيتها. في هذا الكتـاب موضوع حول كيفية إعداد الفتاة للزواج لأن الزواج أعظم تحديات الحياة للشاب والشابة ثم هناك موضوع المرأة بين السعادة والشقاء وكيف للمـرأة أن تحـول حياتها إلى سعادة ثم هناك موضوع حول زوجان تحت سقف واحد وكيـف تـتم حياتهما وعن التوتر في الأسرة كيف نقيس حدته ونخلص أنفسنا منه؟ وأخر هذه المواضيع اضطراب المفاهيم في قضايا المرأة وتوضيح المفاهيم الإسلامية حول المرأة وعن رواية رجاء الصانع وما تحويه من مواضيع فجة.

بهذه المواضيع أرجو أن أكون قد وفقت بعرض وتوضيح هذه المواضيع وأن تكون ذات فائدة للمرأة والرجل وبذلك أضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبـل هذا العمل وأن يرزقنا الإخلاص في حياتنا وأن يوفقنا إلى عمـل الخيـر إن الله على كل شيء قدير.

د/ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفوزان
عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين
جامعة الملك سعود بالرياض
قسم التربية وعلم النفس

ذي الحجة 1428هـ
الموافق 2008/1/5م

E-mail: twhd-alfozan@yahoo.com
فاكس : 2390850 (01)
جوال : 0555196767

1- سمات المرأة المسلمة التي لا تنسى

عندما نقرأ أو نسمع شخص ما شاعراً أو كاتباً أو أي رجل يصف مشاعره نحو هذه المرأة التي أحبها هذا الإنسان ويصرخ بأعلا صوته: لقد أحببتها، وسأظل أحبها حتى نهاية الدنيا.

من هي هذه المرأة؟ لا أحد يدري من هي هذه المرأة التي كانت ملهمته التي أوصلت إليه بأروع أعماله! لقد قضى هذا الشاعر حياته كلها بجوارها، فلما ماتت، ترك العلم، وهجر الناس والدنيا، وعاش وحيداً في عزلته على الذكريات.

ما هو هذا الشيء الذي رآه هذا الشاعر الرقيق في هذه المرأة لم يره في غيرها.

ما الذي يخلد المرأة فيجعلها تعيش أبداً في قلوب هؤلاء الذين عرفوها وأحبوها.

الرجل .. لا يدري!

لماذا تتمتع أحدى النساء بهذا السحر الغريب بينما غيرها كثيرات يَضِعن، وتضيع صورهن وسط زحام الحياة، رغم ما يتمتعن به من جمال وجاذبية، وكأنهن طيف يمر أمام أعيننا، فيبهرها، ثم لا يلبث أن يخبو ضوءه وينطفي؟

ليس هناك إجابة سهلة مقنعة، فالمقاييس تختلف والمعايير تتباين.

ونحن إذا سألنا الرجل، أي رجل يعيش على ذكرى امرأته، أو من أحب، كما عاش هذا الشاعر عن المرأة التي لن ينساها أو غيره من الرجال عن

هذا السحر الجذاب في هذه المرأة التي تمتعت بهذا السحر الغريب ولم يستمتع به غيرها لقال لنا على الفور:

«أنا نفسي لا أدري!».

هل هو جمال المرأة؟

هل هو ذكاؤها؟

الجواب: التاريخ يزودنا أن كثير من النساء اللواتي خلدهن، استطعن الاحتفاظ بسحرهن الأسر، حتى بعد أن ذبل جمالهن وتقدمت بهن السنون، كثيرات من النساء اللواتي جاء ذكرهن، كن زوجات وكن أمهات، ولم يكن نصيبهن من الذكاء وافراً بالقدر الذي يؤهلن لهذا الخلود فما هي إذن تلك الصفات التي تجعل من المرأة شخصية لا تنسى؟ إنها الحلوة البسيطة الممتلئة حياة وحيوية هي التي تحب الناس وتعشق الطبيعة وتهيم بتغريد الطيور، إنها التي تعرف كيف تنقل الانفعالات الجميلة السعيدة التي يحس بها، إلى نفوس هؤلاء الذين يعيشون حولها، إنها المعلمة التي تعلمنا كيف نحب ومتى نتألم إنها تعلمنا أيضاً أن أسعد اللحظات هي تلك التي يقضيها زوجها أو أفراد أسرتها في الحديث معها. هي تلك المرأة التي خلدها الشعراء قديماً، وعاشوا على ذكرها يقول أحد الباحثين في وصف هذه المرأة التي لا تنسى، إنها تلك المرأة التي تعيش حياتها ولا تتبرم بها.. إنها تلك التي لا تقف متفرجة على ما يدور حولها، بل تشعر بالناس من حولها وتعيش معهم آلامهم وأفراحهم فهي منهم وهم منها.

إنها المرأة التي لا تكتفي بحل مشاكلها ومشاكل أسرتها فحسب، بل وتشترك في حل كل مشكلة لكل قريب أو بعيد عنها، كلما طلب إليها ذلك. إنها تلك التي ترفض أن تلقي بما يفيض من غذاء في وعاء القاذورات، لأنها

تعرف أن هناك أفواها جائعة تبحث عن لقمة تملأ بها جوفها فهي تحسن إلى الفقير وتساعد المحتاج وتفعل ذلك دون أن تدع أحداً يحس بما قدمته يداها..

والمرأة التي لا تنسى هي التي لا تظهر الهدوء والبساطة، إنهــا المــرأة التي لا تضيع وسط الزحام.. ولكن ليس معنى هذا أن تحاول أن تجعل مــن نفسها نجمة في المجتمع، فتتسابق للوصول إلي الأضواء وتقف تحتها، ليرى الناس جمالها وأناقة ثيابها ثم تجلس لتفاخر بمحاسنها وسجاياها.. ولكنها تلك التي تتحدث في هدوء وبساطة وثقة بالنفس فيحس المرء وهو يستمع إليهــا، بعمق الفكر، وسهولة التعبير في غلاف جميل تلفه ابتسامة مشرقة تنم عمــا تحويه هذه النفس من صفاء وشعور بالأنس والرضا.

وهي المرأة المسلمة التي يرتاح الرجل إلى صحبتها فلا يشعر بلذة الحياة إلا معها، ولا يرى ما يحيط به من جمال إلا عينيها فإذا هي ابتعدت عنه أو افترق عنها، لم يعد يشعر بطعم للحياة أو يرى فيها شيئاً مما يراه غيره.

المرأة المسلمة صانعة الذكريات هذا موقف يذكره أحــد الرجــال عــن زوجته التي جعلته يعيش على ذكراها ذلك اليوم الذي أصطحبها فيــه إلــى السوق ليشتريا حاجات لبيتهما، لقد كان الجو حارا والشمس حارقة ولكنها لم تأبه بلسعاتها كانت مرحة سعيدة لأنها معه لقد تعلقت بذراعه ووضعت حقيبة يدها الصغيرة فوق رأسه لم يرتدي شماغ أو قترة لتحميه من حرارة الشمس أنه يذكر ضحكاتها وهي تسير بجواره غير عابئة بلسعات الشــمس، دون أن يبدو عليها الضجر لحظة واحدة.

لقد ظلت على مرحها طوال اليوم، ولأيام أخرى عديــدة، حتــى عنــدما ارتفعت حرارتها في المساء ولازمت فراشها من أثر ضربة الشــمس، أنــه يذكرها في كل صيف عندما يشتد الحر يحس بلسعة الشمس في رأسه.

ووقف آخر يتذكر زوج عن زوجته التي جعلته يعيش على ذكراها ذلك اليوم الذي أصطحبها فيه إلى البعثة الدراسية ووقفت معه في الشدة والرخاء تحملت الغربة والوحدة طوال ست سنوات سجينة في البيت لا أهل ولا جيران يقضي معظم وقته بعيدا عنها في الجامعة حتى تحقق له ما يريد من الدرجة العلمية فكان لها الفضل بسبب ثباتها وصمودها معه تشاطره همومه وتسعد لفرحه لأنها أي المرأة كنز من السعادة أنها المرأة التي تعيش للحظة التي يحياها فهي تعطي نفسها وروحها للعمل الذي تؤديه وهي تجد السعادة أينما كانت، وحيثما حلت طالما أنها قريبة من هؤلاء الذين تحبهم ويحبونها.

فسعاتها بوجبة الطعام البسيطة التي تناولتها مع زوجها وأطفالها فوق الحشائش الخضراء في بطن الوادي، لا تقل عن سعاتها بالوجبة الدسمة التي قدمت لهم في مطعم المدينة الفاخر، وحياتها في البيت الصغير الذي كانت تسكنه الأسرة عندما كان زوجها لا يزال موظف صغير، لا تقل جمالاً عن حياتها في هذا البيت الكبير الذي انتقلوا إليه بعد أن كبر الزوج وتضاعف دخله بل وما أكثر اللحظات التي تحن فيها إلى بيتها الصغير الذي شهد قصة كفاحهما معاً من أجل حياة أفضل.

إنها المرأة المسلمة التي تتميز بقدرة على اكتشاف مواهب الناس، فهي قد تكتشف أن زوجها مثلاً يتمتع بقدر لا بأس به من الذكاء، ولكن خجله الشديد يحول بينه وبين استخدامه لذكائه فتشعل بيدها فتيل هذه القدرة أو قد تكتشف أنه موهبة ضائعة في تلك الوظيفة التي قضى فيها سنوات عمره، فتساعده وتشجعه على تغيير عمله، رغم ما قد يعترض هذه الخطوة من عقبات، فإيمانها بموهبته، ثم شعوره هو بوجود شخص آخر يؤمن به، كفيلان بتغيير مجرى حياته ومستقبله كله، وقد قيل إن خلف كل رجل عظيم امرأة. ثم إنها المرأة التي تفرض شخصيتها كمستمعة أكثر منها، محدثة فلا شيء يريح الناس ويملأ نفوسهم بالثقة والاطمئنان، أكثر من شعورهم بأن هناك من

يستمع إليهم ويهتم بمشاكلهم.. وهي التي تستطيع أن تشعر محدثها بأنه يفكر بذكاء أكثر وعمق أكبر، فتساعده في التعبير عن نفسه وتعاونه في بلورة أفكاره دون أن يحس بتأثيرها عليه مثل هذه المرأة التي تعطي أكثر مما تأخذ هي التي تبني جسراً يصل دائماً بين تفكيرها وتفكير زوجها التي يقوم عقلها دائماً بوظيفة المضيف لكل رأي ولكل فكرة جديدة تطرح أمامها التي تفتح قلبها لإخراج زوجها من أحزانه مثل هذه المرأة المسلمة التي يشعر المرء في وجودها أنه أكبر من نفسه ومن الحياة ذاتها مثل هذه المرأة المسلمة لن ينسها الرجل أبداً.

2- للمرأة في الإسلام شخصية حقوقية كاملة

الإسلام العظيم منح المرأة البالغة العاقلة الرشيدة الحرية الكاملة في التصرف في أموالها كيف شاءت بإراداتها المنفردة دون معارضة من أحد سواء كان زوجها أو غيره فلها التصرف فيما تملك بالبيع أو الهبة أو الإعارة ولها نقله من مكان إلى آخر بلا معارضة ولا أذن من زوجها.

ففي الشريعة الإسلامية تقر أن لكل شخص سواء كان ذكراً أو أنثى تثبت له الولاية على ما له ما دام بالغاً عاقلاً ولا يجوز للزوج التصرف في أموال زوجته بغير إذنها لأنه لا ولاية له على أموالها مطلقاً ما دامت عاقلة بالغة.

وهذا الكلام موجه إلى بعض الأزواج الذين يتطاولون على مرتبات زوجاتهم من الموظفات وغيرهن ويرى هذا من باب القوامة على المرأة وهذا ليس بالصحيح وعلى هؤلاء الرجال الخوف من الله وإن هذا ظلم كبير بحق هذه المرأة.

فالإسلام يعطي المرأة كل الحقوق وتعامل مثل الذكر بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران، آية 195).

ثم الإسلام وجه خطابه إلى الذين لا يفرحون بالبنت ويفضلون الولد على البنت ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى حين يقول:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

ألا ترى كيف يصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء القوم الذين تسود وجوههم عندما يبشر بالأنثى إنها والله لجاهلية عمياء.

إن في هذه الآيات، وفي آيات أخرى غيرها بينات حيث وضع الإسلام اللبنة الأولى في بناء حرية المرأة، ثم منحها كافة الحقوق الشخصية، وساوى بينها وبين الرجل وقدمها على الذكر في بعض الأحيان.

قال جل شأنه: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[1]

انظر لتعامل سيد الخلق الذي لم تنجب البشرية مثل رسول الله ﷺ في تعامله مع المرأة فقد عرف الرسول الكريم نفسية المرأة، لذا كان يكثر من مؤانستها والرفق بها، كان يخرج زوجاته معه في أسفاره، وكان إذا ما أرادت إحداهن ركوب الراحلة، بسط لها ركبته لتدوس عليها وتصعد إلى هودجها.

فالنساء شقائق الرجال كان في أوربا التساؤل هل المرأة إنسان؟ وبعد نقاش وجدل تقرر أن المرأة فعلا إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل، هذه هي النظرة الأوربية وفي العصر الحديث ظهرت منظمات حقوقية في أوربا تنادي بحقوق المرأة وهذه الحقوق توسيع دائرة المجون والفجور على حساب جسد المرأة وزيادة متعة الرجل بها فأصبح من حقها أن تعاشر من تشاء إلى أن تقطف زهرة شبابها وعندما تكبر الكل يهجرها لأنه انتهى دورها، أما في

(1) الشورى، آية: 49

الإسلام فهي تربى على الطهارة في بيت أبيها ويصونها ثم يختار لها الزوج الصالح والذي يقوم بالقوامة ويصونها على العفة والطهارة فتصبح الزوجة الودود الولود لتكون ملكة البيت في حياة سعيدة، وجاء الرسول الكريم فقال في حديثه الشريف: «**النساء شقائق الرجال**»، وأن «**الجنة تحت أقدام الأمهات**» وكانت البلاد الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وما بعده هي البلاد الوحيدة في العالم التي تساوى فيها المرأة بالرجل من حيث المكانة الاجتماعية وبذلك أصبح للمرأة حقوق وعليها واجبات مثل الرجل فلها الحق في التصرف بما تملك شأنها في ذلك شأن الرجل وهو لا سلطة له عليها في ذلك، أباً كان أم زوجاً أم أخاً، طالما أنها غير قاصرة أو محجور عليها، على أن هذا الحق الذي منحه الإسلام للمرأة منذ خمسة عشر قرناً لا تزال قوانين الحضارة الغربية قاصرة عن بلوغه حتى اليوم في الكثير من تشريعات الغرب.

من حقوقها أيضا مساوية للرجل حق الإرث فكان في الجاهلية قبل الإسلام لم يؤول إلى النساء شيء من مال الرجال إرثاً في العصر الجاهلي، وكان الرجال يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة، وكان الرجل يرثه أبناؤه دون بناته، فإذا لم يكن له أبناء ورثه الأقربون إليه من أوليائه المتوفى ونساؤه جميعا لأنهن في نظر الجاهلية من أموال التركة، إذ يأتي هذا الوارث ويلقي ويؤول إلى هذا الوارث القريب، ويلقى ثوبه على زوجة مورثه ويقول (ورثتها كما ورثت ماله) ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها إن شاء تزوجها وإن شاء زوجها سواه.

وكان بنات الميت وزوجته من المتاع الذي يورث. حتى جاء الإسلام، ونفى عن المرأة صفة المتاع الذي يورث، ثم ساوى بينها وبين الرجل فالرجل يرث المرأة والمرأة ترث، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾[1] وحديث البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: «**مرضت بمكة مرضاً أشفيت منه على الموت،فأتاني النبي ﷺ يعودني، فقلت يا رسول الله: إني لي مالاً كثير وليس يرثني إلا ابنتي؛ أ فأتصدق بثلثي مالي، فقال: لا، قلت: فالشطر أي النصف، قال: لا، قلت: الثلث، قال: لا، فالثلث والثلث كثير، إنك إن تركت أولادك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فم إمرأتك**».

وصحيح أن الإسلام جعل إرث الرجل ضعف إرث المرأة لأن هناك أسباب وهي من أجل بناء المجتمع المتكامل والحكمة في ذلك واضحة وظاهرة. فالإسلام الذي حمل الرجل نفقة زوجته ولو كانت ثرية وحمله نفقة أولاده وبناته وواجب عليه المهر، خلافا لأديان أخرى تدفع فيها المرأة صداقها حتى تتزوج، كما حمله فريضة الجهاد وما يتطلبه من نفقات الأسرة بتركها، وما يترتب عليه من خسارة نتيجة تركه العمل وانصرافه للجهاد. وواجب عليه نفقة الأقارب الفقراء لذلك كله كان طبيعيا- والغنم بالغرم أن يكون للرجل نصيب أوفر في الميراث، خاصة وإن البنت لها في الغالب من يعولها، أو هي على الأقل لا تعول سواها..

لكن ما هو واقع المرأة في الغرب؟

إذا كان الإسلام أعطى البنت نصف ما أعطى الولد أو المرأة أو الرجل، فإنه على كل حال أعطاها أكثر مما تعطيها التشريعات الحديثة لدى الأمم المتمدنة في الغرب زعماء قوانين حقوق المرأة في العالم وأصحاب القيم والحضارات كما يزعمون في ظل القوانين الأوربية التي يراد فرضها على

(1) النساء، آية: 7

العالم حيث أن البنت أو المرأة في أوربا لا ترث مطلقا، بل تحصر ثروة الأب في أكبر أبنائه الذكور، وعلى كل فمسألة الإرث ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة، إنما هي مسألة اقتصادية اجتماعية بحتة أملاها واقع الحياة. ولكن المرأة في الإسلام هي والية على أموالها فمنذ أربعة عشر قرناً وهي لا تختلف عن الرجل في شيء فيما يتعلق بحقها في ممارسة حقوقها المدنية فلقد سوى الإسلام في هذا المضمار بين الرجل والمرأة، فمتى بلغت الرشد، كان لها أن تصرف بأموالها مهما بلغت، شأنها في ذلك شأن الرجل على حد سواء، وللمرأة في نظر الإسلام كافة المؤهلات الشرعية والقانونية لأن تعقد العقود المدنية عامة من بيع وشراء وإجارة وشركة وقرض ورهن وعارية وهبة وغير ذلك، وأن توكل فيها من شاءت، وأن تتوكل فيها عمن شاءت، وليس لأحد إلينا كان أن يتدخل بأسم الشرع والقانون في ذلك لقوله سبحانه وتعالى في سورة النساء: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾

كذلك المرأة المسلمة تتمتع بشخصية حقوقية كاملة لا يحق لأحد مهما كان صفته أن ينتقص منها إلا أن التشريع الإسلامي أعطاها الحماية الكاملة، بينما نجد أن المرأة الغربية ما تزال تئن من القيود المفروضة بموجب القوانين النافذة على شخصيتها الحقوقية، وإذا كانت قد حصلت على شيء من الحرية مؤخراً فإنها ما تزال مهددة بسلطة تدخل زوجها ومنعها من ممارسة هذا الحق.

وهكذا نرى أن الإسلام أقرّ للمرأة شخصيتها الحقوقية المتكاملة ومحا من حياتها تهمة (القِصرّ الدائم)، الذي أثقلت كاهلها به التشريعات الجاهلية قبل الإسلام.

وكثير من القوانين الحديثة الغير إسلامية، فالإســلام أعطاهــا «الكفــاءة والأهلية في إدارة أموالها والتصرف بها وإنشاء العقود عليها بملء حريتها، دون الالتزام بالرجوع إلى رأي الرجل أو أخذ موافقته، بــل دون أن يكــون للرجل أي سلطة على هذه التصرفات فمثلها في ذلك كمثل الرجل لا تــنقص عنه ولا تزيد».

لقد كان الإسلام بارا بالمرأة، ومن الوفاء له أن تنشــد المــرأة المســلمة المساواة في تعاليمه السمحة وبذلك تتبوّ مكانة حقوقية واجتماعيــة يحســدها عليها اليوم كثير من النساء في العالم.

3- سمات الرجل الناضج والفج

وسمات المرأة الناضجة والفجة

هناك صورة تعكس رجال عمالقة في دنيا المال ومداولة الأسهم وغيره ولكنهم أقزاما في حياتهم العاطفية تلك الصورة الحقيقية لعدد كبير من الأزواج والزوجات تلك التي تختفي وراء الأقنعة التقليدية التي تغطي وجوههم أمام الناس فبين أصحاب هذه الرسائل شخصيات لها أسمها ومركزها في المجتمع، وبينهم رجال أعمال ناجحون ومهندسون ومحامون وغيرهم.

إن الإنسان الناضج الكامل النضوج لا وجود له في أي مجتمع أو في أي زمان فكل واحد منا يعاني من نقط ضعف معينة، والبعض يعاني من الشعور بالنقص أو من جيوب صغيرة تؤكد عدم نضجه نضوجاً تاماً.

هذا ما يقوله علماء النفس، فهم يرون أن الإنسان لا يكبر دفعة واحدة، ولا ينمو بنفس السرعة التي ينمو بها جسمه، فالنضوج العاطفي يتحقق، ولكن ببطء، وتجارب الحياة هي أكبر مدرسة ينضج فيها الإنسان رجلاً كان أم امرأة.

لكن ماذا يعني النضج؟ قبل الحديث عن موضوع الرجل الناضج أو غير الناضج الفج وكذلك بالنسبة للمرأة نتوقف قليلاً لنشرح معنى النضوج، يقول أحد الفلاسفة في تفسير معنى النضج، إن النضج هو القدرة على أن يكبح الإنسان جماح غضبه في الأزمات والخلافات، وأن يحل مشاكله دون اللجوء إلى العنف، والابتعاد عن كل وسيلة من وسائل التخريب والتدمير.. ومن

النضوج أيضاً المثابرة على العمل وبذل الجهد في سبيل الوصول إلى الهدف الذي اختاره المرء لنفسه في الحياة، رغم أنف كل ما يصيب جهوده من نكسات.

ومن النضوج، الصبر على المكاره والاستعداد للتنازل عن ملذات سريعة مؤقتة في سبيل تحقيق كسب طويل الأمد ومن النضوج التخلي عن الشعور بالأنانية والاستجابة لمطالب الآخرين من الناس، وخاصة هؤلاء الذين نحبهم ومن النضوج القدرة على مواجهة المصائب وخيبة الأمل، دون أن نضمر الحقد لأحد. ومن النضوج التواضع، والقدرة على أن نقول نعم «لقد أخطأنا». فإذا شعرنا بأننا أصبنا ولم نخطئ لا نحاول تذكير الجانب الآخر بخطئه كلما حانت الفرصة. ومن النضوج أخيرا، أن نعرف كيف نتعامل مع الناس، وأن نعيش في سلام مع الأشياء التي تعرف أننا لا نستطيع أن نغيرها. ترى من منا يتمتع بكل هذه الصفات؟

امرأة تشكي حالها مع زوجها وتصفه بالطفل الكبير! تقول هذه المرأة أنها شابة وزوجها محام ناجح مضى على زواجها أكثر من خمس سنوات لم تشعر خلالها يوماً بأنها تعيش حياتها مع زوجها، كما كانت ترجو لها وتتمنى. لقد رزقهما الله بطفلين وتذكر أن زوجها لا يستطيع أن يتخذ القرار بنفسه دون مشورة والدته والرجوع لأمه أولاً حتى لو كان هذا القرار يتعلق بحياتنا الخاصة، أنه لا يستطيع أن يتخلص من سيطرة أمه عليه حتى ليتخيل إلي أحياناً أنه يأخذ رأي أمه في كل قضية تعرض عليه، قبل أن يقبلها أو يترافع فيها، إن شبح أم زوجي ينغص علينا حياتنا، إنني أريد أن أشعر أنني أعيش مع رجل، لا مع طفل كبير ما زال يتعلق بأمه هذا ما ذكرته هذه السيدة الفاضلة لكن أريد أن أقول في حدود الإنصاف والواجبات ما هي الواجبات لهذا الزوج مع والدته وما هي الواجبات التي يقدمها لزوجته وصون حقوق زوجته وحقوق والدته. إن العقيدة الإسلامية حفظت لكل

إنسان حقوقه والواجبات التي عليه ففي مسألة الوصية بالنساء قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1]وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمُهُ كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»[3].

والكلام إن المرأة خلقت من ضلع هذا الكلام على التمثيل والتشبيه كما هو مصرح به في الرواية الثانية «المرأة كالضلع لا أن المرأة خلقت من ضلع آدم كما تنهمه بعضهم، وليس في السنة الصحيحة شيء من ذلك وإنما هو منقول عن الفصل الثاني من سفر التكوين، وتأويل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ أي خلق من نوعها زوجها وهو كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[4]».

وعن معاوية بن جبيرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا

(1) النساء، آية: 19
(2) النساء، آية: 129
(3) متفق عليه
(4) رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيي النووي ص 161.

تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» حديث حسن رواه أبو داود وقال معنى «لا تقبح» أي لا تقل قبحك الله[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم» رآه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»[2] رواه مسلم.

ومن حق الزوج على المرأة هو القوامة للرجل في حدود الواجب والقدرات في طاعة زوجها والامتثال لأمره قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾[3].

بمعنى بما ساقوا إليهن من صداق وأنفقوا عليهن من نفقة.

وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأجير راع، والرجل راع عن أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» متفق عليه البخاري ومسلم.

---

(1) رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى النووي.

(2) المرجع السابق.

(3) النساء، آية: 34

أما حقوق الوالدين فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾[2].

وفي حق الأم فقد روى البخاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن بصحبتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك» متفق عليه البخاري ومسلم.

وفي رواية: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك»[3].

وهكذا أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الإرضاع، وقال القرطبي: أن الأم تستحق الحظ الأوفر من البر.

(1) النساء، آية: 36
(2) الإسراء، آية: 24،23
(3) المرجع السابق.

وهكذا يا أختي الكريمة حق الأم وإنك سوف تصبحين أو أصبحت أماً وربما يقوم ابنك بنفس الموقف معك كما فعل زوجك مع أمه وكان مصدر النقد منك ووصفه بالطفل الكبير فماذا سوف يكون موقفك أرجو أن يكون موقفك عادياً ومع هذا فأنتي محقة يجب أن يكون الزوج عادلاً فللزوجة حق في المشاركة وأخذ رأيها والأم لها الحق، بأن تعلم عن حياة ابنها وأن يستشيرها ويأخذ برأيها.

قصة شكوى أخرى من امرأة عن زوجها بأن قلبه في معدته فتسأل هل يمكن أن يكون الطعام وحده هو كل ما يشغل بال الرجال؟ يقول أحد الحكماء أن أقصر طريق إلى قلب الرجل هو معدته. تقول هذه المرأة أن الحال مع زوجها تختلف فقد انتقل قلبه إلى معدته أنه لم يعد يشعر بشيء أو يفكر في شيء أو يشغل نفسه بشيء آخر غير الأكل، إنه لم يعد شاباً فقد جاوز الخمسين من عمره وقد نصحه الأطباء بعدم الإفراط في الأكل حرصاً على صحته، ولكنه ضرب بنصائحهم عرض الحائط، وكانت النتيجة أن أصيب زوجي بمرض السكر فهل كف عن الطعام؟ أبداً لقد ازدادت شهيته وأصبح (يسرقه) من ورائي! «لقد قضيت مع زوجي أكثر من عشرين عاماً كان ينفق خلالها أكثر من نصف مرتبه على شراء الأطعمة والمأكولات التي يشتهيها حتى عندما كبر أبناؤنا الثلاثة وازدادت مطالبهم!! إنه لا يفكر إلا في نفسه وفي معدته!».

في الواقع شكوى غريبة وهي حالة سلوكية قد تكون مرضية تحتاج إلى العلاج ووعي تحتاج إلى علاج نفسي وتحتاج إلى تعديل في السلوك ربما تقوم به هذه الزوجة لتعديل سلوكه بعد العلاج النفسي الذي يقوم به الطبيب النفسي وتعديل السلوك تقوم به الزوجة كأن تغير من تصرفاتها معه من حيث شد انتباه لها بما تقوم به من إظهار شكلها من إغراء وغيره وفي المعاشرة بما تقوم به من متعة له امرأة أخرى تشتكي من زوجها بأن البيت

هو كبش الفداء حيث تسأل هذه الزوجة لماذا يكون البيت دائماً هو المكان الوحيد الذي يصب فيه الرجل جام غضبه!

إننا زوجان سعيدان، مضى على زواجنا ثماني سنوات، رزقنا خلالها بطفلة واحدة، ولكن تصرفات زوجي تحيرني.. إنه يخرج من بيته إلى عمله في الصباح سعيداً راضياً بحياته، ولكنه عندما يعود إلينا، أراه قد تحول إلى رجل آخر فهو يثور ويغضب لأي سبب ولأتفه سبب وعبثاً تذهب محاولاتي لتهدئته والترويح عنه! فلا أجد في النهاية من وسيلة لتجنب شره، إلا أن أذهب إلى غرفتي، وأجلس مع ابنتي أداعبها حتى تنام «وتمر ساعات طويلة قبل أن يعاوده هدوءه»، فإذا به يحكي لي من تلقاء نفسه عن متاعبه في العمل، وإذا بي اكتشف من خلال حديثه أن بينه وبين رئيسه خلافاً، وأن هذا الخلاف كثيراً ما يتطور بصورة لا ترضي زوجي بطبيعة الحال ويشعر الزوج بعجزه عن الدفاع عن نفسه فيختزن غضبه، حتى إذا عاد إلى البيت أباح يُنفس عما في صدره من غضب».

في هذه الحالة يظهر أن هذا الزوج أنه جدي وشريف ويظهر أنه هذا المدير يحب السيطرة والهيمنة ولا يراعي العلاقة الإنسانية بين الرئيس والمرؤوس وأهميتها للعمل أو أن زوجك حساس أكثر من اللزوم أو أنه لا يتقن عمله علينا معرفة المشكلة قبل أن نحكم، لكنه يحمل ظاهرة جيدة أنه بعد هدوءه يلجئ إليك ويحكي لكِ عن متاعبه في هذا العمل وهذا دليل على صفاء نفسه ثم جيد منك أن تذهبي مع ابنتك إلى الغرفة لتجنب الاحتكاك به وتركه يُنفس عن نفسه بعد هدوء، تسمعين إليه ليحكي عن مشكلته مع هذا المدير لكن أرجو أن تساعديه في إيجاد حل وبالتالي الدفاع عن نفسه، ومساعدته إذا كان يعاني من قصور في إنجاز عمله والذي يثير غضب مديره ويحصل الخلاف.

شكوى غريبة بعض الشيء مشكلة تحصل في أول أيام الزواج في شهر العسل، تقول هذه السيدة أن زوجها مغرم بالتلفاز والفضائيات، تصف هذه السيدة تجربتها في أول ليلة بعد زواجها قالت سافرنا بعد حفل زواجنا مباشرة، بعد أن اخترنا فندقا معين في أحد المدن، لنقضي فيه أيام العسل ولكننا ما كدنا نصل إلى الغرفة التي حجزتها لنا إدارة الفندق، حتى راح زوجي يبحث بعينيه عن القنوات لمشاهدة الرياضة والأفلام فقد اكتشفت أن زوجي مغرم بمشاهدة القنوات الفضائية، إلا أنه وجد جهاز الدش وجهاز التلفاز لا يعملا فجن جنونه أثرا وفجأة نظر إلى زوجي، وقال انتظريني لحظات فسوف أذهب لمقابلة مدير الفندق، ليأتي لنا بجهاز أو ينقلنا إلى غرفة أخرى مزودة بجهاز (ستالايات) كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء بقليل عندما تركني زوجي ليبحث عن التليفزيون والدش وجلست انتظر، وأنا ما زلت في ثوب الزفاف فلم أشأ أن أبدل ملابسي خوفا من أن يعود زوجي ليقول لي أننا سننتقل إلى غرفة أخرى.

ومرت الساعات بطيئة متثاقلة، وأنا ما زلت انتظر حتى استبد بي القلق في نهاية الأمر، رفعت سماعة الهاتف اسأل ماذا حل بزوجي؟ وجاءني الرد «لقد ذهب مع عامل الفندق إلى بيت المهندس المسئول عن إصلاح أجهزة التلفاز والرسيفر وسوف يعود حالا معذرة يا سيدتي فقد كنا نود أن ننقلكم إلى غرفة أخرى مزودة بجهاز التلفاز ودش ولكن جميع غرف الفندق مشغولة! »، وتمضي هذه العروس الحديث لتسأل «هل تعرفون متى عاد العريس في ليلة الزواج؟ في الساعة الواحدة صباحا. لقد عاد يحتضن جهاز التلفاز والرسيفر فوق صدره ومع المهندس الذي سوف يصلحه، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة سعيدة وهو يقول: أخيرا حصلنا على جهازنا يا عزيزتي».

في الواقع هذا الموقف من هذا الرجل العريس الجديد شيء من الحـزن كيف لهذا الرجل يترك زوجته هذه اللحظات من أجل البحث عن جهاز تلفاز ورسيفر من أجل مشاهدة الكرة والأفلام فهل هذا أهم من عروسه؟

إنه لا يقدر قيمة هذه اللحظات وهي أول مرة تحصل في العمر لحظـات من أسعد الأيام أن هذا الرجل فقد عقله فاقداً الأحاسيس والمشاعر. إنني لا ألوم هذه العروس أن لا تكن له مشاعر نحوه، لأنه قتل مشاعرها وأحاسيسها في أول لقاء وأصبح جهاز التلفاز والدش والكرة أهم من هذه الإنسانة.

الشكاوي لا تقتصر على الزوجات بل إن الأزواج يشتكون لذا فإن المرأة ليست وحدها التي تشتكي بل أيضاً الأزواج يشـتكون مـن مشـاكلهم مـع زوجاتهم بعضها مشاكل طفيفة لا يخلو منها بيت فهي من هذا النوع الـذي يحدث عادة بين الأزواج في شتى مراحل الحياة ثم لا تلبث أن تحـل هـذه الخلافات نفسها بنفسها مع مضي الزمن كلما طالت العشرة بـين الـزوجين وتعود كل منهما على طبع الآخر وخصاله وازدادت معرفته به، وتوطـدت علاقته بصاحبه.

السؤال الآن الذي يمكن أن يثار من هو الزوج الناضج؟ وما هي سماته؟

الجواب على هذا السؤال نرى أن نضوج المرأة مـن نضـوج الرجـل والزوج الناضج وحده، هو الذي يستطيع أن يعاون زوجته على أن تكبر معه وعلى أن تصبح امرأة ناضجة، مهما بلغت درجة تعليمها وثقافتها. فالرجل، يريد دائما أن يشعر بوجود امرأة بجانبه، حتى لو كانت صاحبة مهنة، وحتى لو كانت تعمل وتكسب رزقها مثله تماماً.

كتب زوج يشكو زوجته الطبيبة، قال: «إنني لم أعد أراها، لم أعد أحس بوجودها بجواري إن عملها يأخذها مني ولولا وجود أطفالنا الصغار الـذين تركت زوجتي مهمة رعايتهم لأحد المربيات نسيت أنني قد تزوجت.. إنها لا

تكاد تعود من عيادتها بعد الظهر، حتى تبدأ تستعد لاستئناف عملها في المساء.. أنا أيضاً طبيب، ولكنني لم أنس إنني أب وزوج في الوقت نفسه ومن أجل هذا حرصت على أن أنظم حياتي، بحيث أترك لنفسي وقتاً أقضيه في بيتي مع زوجتي وأولادي ولكنني لا أكاد أبحث عنها حتى أفاجأ بأنها قد غادرت البيت لأن هناك حالة طارئة تتطلب وجودها في العيادة أو في بيت أحد مرضاها (إنها تهتم بعملها، أكثر من اهتمامها ببيتها وزوجها وأطفالها إنني لا أريد أن أحرمها من مزاولة مهنتها لأنني أعلم أنها تحب عملها، ولكنني أطلب منها فقط، أن تعطينا بعض وقتها، أن تشعرنا بأنها منا وإننا منها، أن تدرك أن لها بيتاً وزوجاً وأطفالاً ينتظرون عودتها)».

ولكن بالرغم مما يبدو في خطاب الزوج من مرارة، إلا أن مشكلتهما ليست من النوع الذي يجب أن يبقى بغير حل.

إن قدراً بسيطاً من التفاهم بينهما يمكن أن ينظم حياة الزوجة الطبيبة بالصورة التي ترضيها وترضي زوجها، وتوفر الرعاية الصحية لأطفالها هؤلاء الذين تركت شئونهم لتلك المربية التي جاءت لتعمل مقابل أجر تدفعه لها الأم العاملة حتى تتمكن من التفرغ هي لعملها ووظيفتها فهذه صورة أخرى من صور عدم النضوج العاطفي، لأن مهمة الأم الأولى هي رعاية أطفالها، وخاصة في مراحل حياتهم المبكرة.

وهذا شاب جامعي يشتكي من والدته التي تركت البيت من أجل العمل يقول هذا الشاب: «إنني أحد ثلاثة أبناء» ننتمي إلى أسرة متوسطة الحال، والدنا يعمل موظفاً في الحكومة وأمنا مُدرسة في أحدى المدارس الثانوية «إننا لا نرى والدنا إلا في المساء» بعد عودته من عمله ووالدتنا تأتي قبله وعلينا نحن بعد ذلك أن ندير شئوننا بأنفسنا، وأن نعتني في نفس الوقت بشقيقتنا الصغرى التي لم تتجاوز عامها السادس بعد، ويمضي الشاب ليقول إنني أشعر بأن العبء الذي يقع على عاتقي، أكبر مما احتمل، فأنا مسئول

عن رعاية شقيقتي الصغيرة ومراجعة دروسها، في الوقت الذي استعد فيه للامتحان، فلم يبق على تخرجي من الجامعة إلا سنة واحدة وقد ترجيت والديَّ لإعفائي من هذه المهمة فلم تزدهما إلا إصراراً على أن استمر في تأديتها باعتباري الابن الأكبر، ولا بد لي من أن أتحمل جانباً من المسئولية. إن مرتب أبي يكفينا ويزيد وقد حاول من جانبه أن يقنع أمي بترك عملها للتفرغ لشئون البيت ولكن محاولاته كلها ذهبت هباء حتى لقد أصبحت هذه المشكلة سبب خلاف دائم بين والدي، إنني أخشى على مستقبلي من الضياع حتى شقيقي الأصغر الذي لم يكمل بعد مرحلة دراسته الثانوية هو الآخر بدأ يتأثر بهذا الجو الذي يسود البيت وبدأت نتائج امتحاناته تسوء.

هذه بعض النماذج للرسائل التي ترد من الزوجات أو الأزواج أو الأبناء إنها صورة للحياة من حولنا صورة نسمع عنها ويعيشها البعض منا ولكنها لا تستوقفنا إلا عندما نراها حائلة أمامنا، إنها صورة تعكس مشكلة النضج في الحياة لم يكن أبدا دليلاً على اكتمال النضج. بقي أن نتساءل «هل كانت هذه الرسائل تحمل حقيقة مشاكل بلا حل، وإن جاز لنا أن نسميها مشاكل، فهي تعكس أول ما تعكس قصوراً في التفكير وهذا القصور هو أول مظاهر عدم النضج فإذا نضج تفكيرنا وهو كثيراً ما ينضج من خلال تجاربنا في الحياة كلما قدمنا خف أثر هذه المشاكل على حياتنا واستطعنا أن نتغلب على الكثير منها».

4- دور المرأة المسلمة في التنشئة الوطنية

تلعب الأم دوراً كبيراً في عملية التربية الوطنية والتنشئة الاجتماعية عموماً فما هو أثر الواقع الاجتماعي لمجتمعنا على المرأة وما تأثير ذلك كله على عملية التنشئة الاجتماعية لدى أطفالنا؟

سوف نحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال هذا الموضوع.

تبقى الأسرة السعودية والعربية حلقة هامة جداً في المجتمع السعودي وكذلك العربي غير أن دور الأسرة في المجتمع العربي رغم الأثر السلبي لبعض العوامل المستجدة لكن ما يزال تأثير الأسرة متفوق بقوة وبشكل لا ينازع بالمقارنة مع دور الأسرة في المجتمعات الغربية (الأوربية) كذلك ما يزال دور الأم في الأسرة العربية مركزياً ومحورياً على غرار دور الأم المتقدم وفعال من حيث القوة والتأثير وبشكل لا ينازع أيضاً بالمقارنة مع دور الأم في المجتمعات الغربية، فدور الأم في المجتمع السعودي والعربي دوراً صلباً وجوهري ذلك في المجتمع بشكل عام مسألة مشهود بها قولاً وفعلاً في الإطار التاريخي بدءاً من العصور الجاهلية (بلقيس ملكة سبأ، زنوبيا ملكة تدمر، واعتزاز القبائل بالأم وتسميتها باسمها.. الخ) وعندما جاء الإسلام ارتقى الإسلام بمكانة المرأة ووضع لها حقوقاً ومكانة اجتماعية غير أن دور المرأة في سياقها التاريخي قد تأثر كثيراً وكما هو متوقع بواقع وضع المرأة العربية والمسلمة في المراحل المختلفة وهو واقع مرير على وجه الإجمال بمجراه المرحلي وكي لا نهرب من الواقع الراهن إلى التاريخ، ننتقل فوراً إلى تعداد بعض أبرز ملامح واقع المرأة الراهن لما لذلك من تأثير مباشر على دور المرأة العربية المسلمة بشكل عام ودورها في التنشئة

الوطنية بشكل خاص ويتألف هذا الواقع من مجددات ومعوقات بعضها غير مباشر وعام وهناك من المعوقات والمحددات غير المباشرة حيث تتعرض المرأة في مجتمعنا بقهر مثلث أو ثلاثي الأبعاد يتمثل أولاً في القهر الذي يتعرض له المجتمع الكبير الذي تعيش فيه! ويتجلى ثانياً في القهر الاجتماعي الطبقي داخل مجتمعاتنا العربية الإسلامية ومجتمعنا السعودي بالذات ويتبدي ثالثاً في القهر الناجم عن كون مجتمعنا مجتمعاً ذكورياً يتسلط فيه عليهن. هذا الشلال من القهر المنهمر تاريخياً على رأس هذه المرأة في مجتمعنا جعلها بالإجمال الأغلب عرضة لقهر «ذاتي نفسي» داخل عقل ووجدان كل امرأة في مجتمعنا بحيث أصبحت تحس بالدونية والاستضعاف وعدم الأمان، مهما كانت قدراتها ومكانتها الموضوعية وقد ثبت أن السلطة الأبوية تمنع الإناث أكثر مما تمنع الذكور في مجالات الحياة اليومية ووظائفها المختلفة مثلما امتثال الشابة لسلطة المنع الأبوية هي نسبة أعلى. هذا عدا الدور الذي تلعبه في النطاق ذاته المؤسسات الاجتماعية المتوارثة والتربوية والتعليمية والإعلامية التي تعزز مثل ذلك الشعور بالدونية والاستضعاف وعدم الأمان. لكن المرأة في مجتمعنا بعضهن يغلب عليهن الأمية والجهل والمرأة في مجتمعنا تعامل وفق التقاليد والعرف وليس وفق الشريعة في مسألة المساواة في الحقوق وفي الفرص بل وتعاني من عدم المساواة والظلم. وعلى الرغم من أنها حصلت في مجتمعنا على حقوق قانونية واسعة ومحددة فإنها في أقطار عربية أخرى ما تزال محرومة من الحد الأدنى لتلك الحقوق.

والمرأة في مجتمعنا في شرائح الطبقة الوسطى أو العليا وعلى امتداد معظم المجتمعات الأخرى وكذلك الرجل كانت وما تزال من تلويثات وتشويهات المرحلة النفطية الاستهلاكية أو ما يسمى بالطفرة التي غمرت المنطقة بأمواجها طوال الفترة منذ أوائل السبعينات وحتى أوائل الثمانينات،

ومن أبرز ملامح هذه التلويثات والتشويهات إلغاء الدور الإنتاجي للمجتمع بما في ذلك أدوار الرجل والمرأة وتأسيس الوعي الزائف لدى المرأة في مجتمعنا والمجتمعات العربية والإسلامية على أيدي أجهزة الإعلام والتربية على أساس أنها مخلوق ضعيف وبحاجة إلى الوصاية وإشراف الآخرين بوصفها أنثى تولد أنثى وتعيش أنثى وسلاحها أنها أنثى مهمتها إرضاء أو إغواء أو كسب الرجل بعيداً عن قيم الإنتاج والمشاركة والمساواة ثم دفع المرأة أولاً وأخيراً وبالذات ابنة الطبقة الوسطى والعليا نحو الأنماط السلوكية والاستهلاكية التي يندرج ضمنها ليس الابتعاد عن المشاركة في الإنتاج فقط، وإنما المساهمة المؤثرة في تبديد الأموال على المظاهر الاستهلاكية بدءاً من العيش بين المساحيق التجميلية والاقتناءات المظهرية والتظاهرية والكسل واكتمال شئون الحياة والعائلة وتربية الأبناء وإلقاء مسئولية البيت والأبناء على كاهل العمالة الأجنبية بكل ما في ذلك من أضرار متضاعفة بالأجيال الجديدة ثم إن هناك التأثير المجتمعي المعاصر المغمور بطوفان من السلبيات المتمثلة في الوقائع الصلبة والقيم الخاطئة والتدميرية والهزائم القتالية، التفرقة والتجزئة فتفتت المجتمعات، فأصبحت التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية وتقدير «العمل الفردي الذاتي» مقابل «العمل التعاوني المشترك» وتأكيد «نزعات التقليد والامتثال والابتداع» بدل «نزعات التجديد والتجريب والإبداع» وتعزيز حالات «تجاهل الواقع والتطلع إلى أنماط خارجية واصطناع حلولها الجاهزة» مقابل «التعاطف مع الواقع وتطويره وإيجاد الحلول الذاتية المناسبة مع تأكيد الحلول الذاتية المناسبة» وتأكيد حالات «الاغتراب والبحث عن الخلاص من خلال النقمة أو التعالي أو الفكاك بالهجرة إلى وطن آخر» بدل تكوين «الولاءات والانتماءات الإسلامية والوطنية والتركيز على الطموح المثالي» مقابل «الرغبة في الإنجاز الممكن».

وبث «الفكر الهلامي والعمل الانتهازي» بدل التوجيه العلمي فكراً وعملاً وترسيخ «التسلط التقني التخصصي» بدل المشاركة الشعبية على مختلف مستوياتها وتشجيع «تراكم الثروة المالية» مقابل خلق «مصادر الثروة المجتمعية» وتأصيل نزعات الوصول إلى الهدف من أقصر الطرق الوهمية وغير المشروعة والمغامرة أحياناً بدل طرق المعاناة وبذل الجهد المتواصل وصولاً إلى الهدف.

هذه هي باختصار شديد أبرز العوامل العامة المعوقة والمحددة لدور المرأة في مجتمعنا في مجال التنشئة الوطنية بشقيها الاجتماعي والاقتصادي إلا أن جميع هذه العوامل تندرج تحت إطار خاص عنوانه العوامل المباشرة أو رغم صعوبة الفصل بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر، فإن بالإمكان وضع الأصبع على مجموعة محددات لدور المرأة في مجتمعنا من أجل التنشئة الإسلامية والوطنية تجملها على نحو مخروطي أي بالانتقال من المحددات في الدوائر الأضيق إلى المحددات في الدوائر الأوسع.

ثم إن هناك معوقات ومحددات مباشرة. وهذا بالطبع مرتبط بالمناخ السلبي أو غير المشجع السائد في العائلة الصغيرة وفي هذا السياق المحدد تجدر الإشارة إلى عدد من الدراسات والملاحظات الميدانية التي أكدت الدور المعوق الذي يمارسه الأب أو الشقيق أو الزوج أو أحياناً الولد خصوصاً الذكر البكر وبالذات في المناخات التقليدية وغالباً ما ترتبط الإعاقة هنا بحرية المرأة ذاتها في ممارسة العمل الوطني والسياسي العام وما يتركه ذلك من أثر عليها وعلى البيئة المباشرة المحيطة بما في مجال تنشئة الأبناء تنشئة وطنية ثم هناك معوقات ومحددات نابعة من الإطار الأوسع الشامل للعائلة الممتدة، سواء اتخذت هذه شكل عشيرة أو «حمولة» أو غير ذلك.

ومن هنا تلقى على كاهل المرأة في مجتمعنا السعودي ضغوط إضافية تزيد من الضغوط الملقاة عليها أصلاً من العائلة النووية وفي هذا النطاق

الأخير حتى لو أدت ظروف المرأة إلى تمتعها بحقوق واسعة أو مقيدة وفق ما منحتها لها الشريعة الإسلامية فإن التأثيرات السلبية الوافدة من الإطار العائلي الأوسع سرعان ما تقلص أو تآكل كل أو بعض الحقوق المتوفرة بالإضافة إلى ذلك هناك معوقات تفرضها العادات السائدة في المجتمع وليس لها علاقة بالدين فإذا كانت هذه العادات من النوع الذي له أثر سلبي على حقوق هذه المرأة أو حريتها إن هذه العادات تشكل إضافة كبير وجديدة إلى التأثيرات السلبية الضاغطة عليها في نطاقي العائلة النووية والممتدة ولا يسعف امرأة في مجتمعنا كثيراً كونها تتمتع بنوع من الحرية في النطاق العائلي ذلك إن إرهاب النسق القيمي السلبي السائد في المجتمع الكبير لا بد من أن يترك دوماً بصماته على المحصلة النهائية لحرية حركة المرأة في نطاق الأسرة لقد كانت المرأة العربية عموماً دائماً وبالذات عندما ساعدها الوضع الموضوعي القائم أو على الأقل عندما لم يقمعها ذلك الوضع ويحد من حرية حركتها امرأة فاعلة في نطاق التنشئة الاجتماعية والسياسية السليمة التي صبت دائماً الماء في طاحونة التنشئة الوطنية. فالوقائع والدراسات المتخصصة تؤكد أن المرأة قبل الإسلام وبعده وبالذات في سنوات صدر الإسلام لعبت دورها كاملاً في تنشئة الأبناء التنشئة الاجتماعية والسياسية السليمة وكثيراً ما كان ذلك من خلال طرح نفسها كنموذج يحتذى أو من خلال إبداء استعدادها لتقبل كي لا نقول للترحيب أو للبحث على افتداء ابنها لنفسه دفاعاً عن قيم النبل والشجاعة والمروءة ونشر الرسالة لاحقاً ثم إن المرأة السعودية العربية مارست دوراً مشابهاً بعد تجاوز مراحل الانحطاط الموضوعي وبالذات مع بدء معارك الحرية والاستقلال ومما تجدر ملاحظته هنا للأهمية القصوى كون في المرأة في مجتمعنا والمجتمع العربي أيضاً حتى عندما كانت ضحية للأمية السائدة، نجحت بوعيها الفطري النابع من كونها مجسدة وناقلة أمينة للتراث التاريخي النضالي للتقاليد الاجتماعية والسياسية السليمة نجحت في أن يلعب دورها كاملاً، ليس

في نطاق التنشئة الوطنية السليمة فحسب وإنما أيضاً في نطاق الدخول الفعلي في خضم العمل النضالي التحرري الاستقلالي، وشاهدنا الكبير على ذلك هو الدور النضالي الكبير الذي لقيته المرأة سواء في المدن أو الأرياف وتظهر هذه الأدوار مثلاً للمرأة العربية فدور الأم أو الزوجة وبالذات في الأرياف والمخيمات الفلسطينية هذه المرأة الأم أنجبت أبناء أقوياء في النضال أكثر من خمسين سنة ضد من احتل أرضهم وسرقها وستعود هذه الأرض وكل ذلك بفضل الله ثم بفضل هذه الأم العربية المسلمة، لذا لسنا في حاجة لذكاء كبير ليستنتج في ضوء ما ذكر سابقاً أن مسألة تغيير وتطوير دور المرأة في التنشئة الوطنية والوعي الديني والاجتماعي هي مسألة نضالية بكل ما في العبارة من معنى وهي كذلك مسألة مرهونة تباعاً بتغيير وتطوير دورها العام الشامل من ناحية أولى وهو الأمر المرهون بالتالي بأحداث التغييرات الجذرية المطلوبة في المجتمع لكل من ناحية ثانية فتطوير المرأة من الجانب الفكري والعلمي عامل مساعد لممارسة أدوارها المختلفة ومن ضمنها دورها في التنشئة الوطنية فهي ليست مسألة منفصلة عن ضرورة بناء المجتمع الجديد المنشود المكتفى والمستقل والعادل اقتصادياً والمعافى والمتقدم ثقافياً والديمقراطي أو الشورى سياسياً فليس هناك أي دور للمرأة في ظل استمرار القهر القومي للمجتمع وبقاء القهر الطبقي لقواه الأساسية والتمسك بالمجتمع الذكوري المتخلف اجتماعياً وعلى أساس السياسة العاملة والهيمنة المطلقة للرجل. وبذلك ترى أن المسألة تعود إلى بدايتها باعتبارها ليست مسألة نضالية فحسب، بل كونها، أيضاً تحتاج إلى نضال طويل ومستمر هو من مسئولية الجميع رجالاً ونساءً. وإذا كانت التوجيهات الإلحاقية الداعية إلى دور نضالي نابع للمرأة، توجيهات جديرة بالتجاوز، فإن التوجيهات الانفصالية الداعية إلى انفراد المرأة هي كذلك توجيهات انفعالية وعاجزة دون أن يلغي ذلك تمايز وطليعية نضال المرأة ضمن المجرى العام للنضال. غير أن الحل الشامل المنوه عنه إنما هو بحكم

طبيعته. حل بعيد المدى ولا يمكن ولا يجوز الركون إلى هذه الوصفة (الثورية) الشاملة والعامة وكفى الله المؤمنين القتال. فكما إن المسألة مسألة نضالية وعلى المدى الطويل فهي مسألة جدلية جوهرها إنها نضالية يومية أيضاً فكسب هذه (الحرب) بشكل نهائي مرهون بكسب المعارك الصغيرة والكبيرة المتتابعة. وفي النهاية، لن يقام البناء الكبير للمجتمع الجديد المنتصر إلا على تراكم الأرضية الملائمة من الانتصارات الصغيرة. فالمرأة، من جهة أولى، مطالبة بأخذ زمام أمورها بيديها والسعي الفوري لتحرير نفسها من أسرها لنفسها ومن الوعي الزائف المتراكم على نفسيتها والذي ولد لديها عقدة النقص ومشاعر الدونية، هذه مهمة أولى لا بد من أن تباشرها المرأة سواء على الصعيد الفردي المبادر، أو على صعيد العمل النسوي المنظم.

وإذا أنجزت المرأة هذه المهمة، أو بالأحرى أثناء قيامها بإنجاز هذه المهمة، تغدو مطالبة أموراً بالتحام مع الواعين من أبناء الجنس الآخر المطالبين بتحرير المرأة وإطلاق إمكاناتها، ليوف كل ذلك في خدمة وظيفة توعية الرجل بالوعي الجديد المتضمن ترسيخ الوعي بإنسانية ومواطنة المرأة وبعدم اقتصار وظيفتها على الإنتاج البيولوجي للأطفال وعلى متابعة نموهم البيولوجي والاجتماعي فحسب وهذا الأمر يضمن بوضع البداية لتحرير المرأة على مستوى العائلة والأطر الاجتماعية الأوسع وذلك من خلال إرساء الوعي الجديد الذي يرد للمرأة إنسانيتها ومواطنتيها وهذه خطوة تراكمية باتجاه إحداث التغيير الشامل المنشود، وما أن يتم ذلك، أو في أثنائه، لابد من أن تلتحم الصفوف على جبهة نضالية جديدة هي جبهة التربية والتعليم. وهي مسألة ممكنة جداً في تغير التعليم للمرأة في جميع مراحل التعليم العام والجامعي، وهذا تم في بلادنا حيث ارتفعت نسبة التعليم بينهن وبسرعة فائقة حتى من فاتهن القطار التحقنا ببرامج محو الأمية ثم إن هذه

المرأة في بلادنا انخرطن في العمل سواء في التدريس أو العمل الإداري أو الطبي لذا بدأت معركة دخول المرأة إلى معترك العمل الإنتــاجي وتوســيع ذلك الدخول ليس على الأساس الكمي المستند إلى الأرقام الصماء فحســب، وإنما على أساس الاعتراف الحاسم بها بوصفها مواطنــة وإنســانة. وهــذه خطوة تراكمية باتجاه إحداث التغيير الشامل المنشود وأثنــاء أحــداث هــذه التراكمات جميعها، لابد من أن تستعيد المرأة - والرجــل كــذلك حقــوقهم السياسية وذلك من خلال استعادتهم لحقهم فــي النضــال السياســي ولــيس صحيحاً أن الواقع الراهن في بلادنا يقف حائلاً صلباً ومانعــاً شــاملا دون تحقيق عملية الاسترداد للحقوق تلك إنها حقاً مهمة ليست سهلة بل إنها مهمة صعبة، لكن لم نقل منذ البداية أن المسألة مسألة نضالية في الأســاس؟ مــن يستطيع حقاً أن يحول بين المرأة والرجل ودورهما فــي التنشــئة الوطنيــة لأطفالهما؟ لا أحد فعلا طالما أن المرأة والرجل كذلك قــد قــررا اســتعادة أدوارهم السياسية وقررا أن لا تَحُول التضحية المتوقعة بينهما وبين ذلك، أو بين أبنائهم وتحقيق ذلك فالتنشئة الوطنية هي اللبنة الأولى التي لا تعد الأبناء بمستقبل أفضل فحسب، وإنما تعد الأبناء بمثل ذلك المستقبل أيضــاً وهكــذا نعود إلى جدلية هذه المسألة النضالية. فبقدر ما يشهد الوطن تنشــئة وطنيــة بقدر ما يصبح الوطن حقيقياً وعلى صورة أبنائه المؤمنين به.

5- حظ المرأة من الحياة

المرأة إنسان عظيم وجندي مجهول فهي تقوم بأدوار فهي زوجة وأما وربة بيت وعاملة خارج البيت أيضا لذلك فهي تواجه التعب الذي يعتبر ألد أعداءها الذي يشعرها بزهد في الحياة وكثيراً ما يؤدي بها هذا الشعور إلى إهمال نفسها وبيتها وزوجها وأطفالها، لأنها غير قادرة على القيام بأي عمل ولأنها دائماً متعبة ولأنها تشعر برغبة ملحة تدفعها إلى النوم ولكن لا تكاد تذهب إلى فراشها حتى تحس برأسها يدور وصداع شديد يفتك به ولا تكاد تغمض عينيها حتى يشرد ذهنها في تفكير عميق، فهي تفكر في مسائل صغيرة ولكنها تبدو أمامها ضخمة للجدال وهي تفكر في أحداث وقعت وانقضى عليها وقت طويل ولكنها تتخيل نفسها وكأنها مازالت تعيش فيها وهي تفكر في مستقبلها ومستقبل زوجها وأطفالها رغم أن حياتهم جميعاً سهلة ميسورة لا تشوبها شائبة، ولا يهددها خطر في الغد القريب أو البعيد وهكذا يذهب مسعى مثل هذه المرأة المتعبة في سبيل نيل قسط من النوم والراحة هباء منثوراً. فهي ليست متعبة نتيجة لمجهود جسماني قامت به، فأعوزتها الراحة! ولكنها في الواقع تعبة نفسياً.

ولا شك أن كل امرأة، سواء كانت ربة بيت أم عاملة أم صاحبة مهنة أم طالبة.. كل امرأة في مختلف مراحل حياتها تعمل وتتعب.

وعلاج هذا التعب الجسماني هو بالطبع النوم والراحة والاستجمام وهو أمر طبيعي لا يحتاج إلى علاج أو دواء، فما هي إذن أسباب الشعور بالتعب النفسي الذي لا يجدي النوم في علاجه، ولا تنفع الراحة له دواء، هذا واحد من حظ المرأة العظيمة من الحياة هذه المرأة الرقيقة أسباب تعبها النفسي

تتصل اتصالاً مباشراً بتكوين المرأة البيولوجي ثم بحالتها السيكولوجية وطريقة حياتها وأسلوب معيشتها فالوحدة مثلاً تؤثر على حالة المرأة النفسية والفراغ يبعث الملل إلى نفسها والروتين يحولها إلى آلة تدور وتعمل بلا تفكير وسنتحدث عن هذه الأسباب الثلاثة التي كانت وما تزال مصدر شكوى عدد من النساء ووسائل علاجها والتخلص منها، ولكننا نريد أن نبدأ بطبيعة تكوين المرأة وحياتها، لما لهما من أمر مباشر على هذا الشعور الذي يعتري المرأة في كثير من الأحيان، ويدفعها إلى أن تتصور نفسها وكأنها تحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسها.

إن التكوين البيولوجي أو الحيوي للمرأة يختلف اختلافاً أساسياً عن الرجل، وليس المجال هنا مجال مقارنة ولكن هناك حقائق طبيعية لابد لنا من لمسها برفق حتى ندرك الفارق الكبير بين التكوين البيولوجي للرجل والمرأة.

فالرجل بذرة، والمرأة شجرة، ولولا البذرة ما كانت الشجرة، ولولا الشجرة ما كانت البذرة ولكن الكتب السماوية تحدثنا عن مجيء البذرة قبل الشجرة فقد خلق الله آدم، ثم جاء إليه بحواء لتؤنس وحدته إذن فقد سبقت البذرة الشجرة التي بدأت صغيرة ثم كبرت وعرفت سر الحياة، ونمت وطرحت وملأت الأرض بثمارها، ولنبدأ حديثنا من حيث يكون لقاء البذرة مع الأرض الخصبة. إن الطفل الذكر ينمو، فلا يطرأ عليه أي تغيير سوى الرغبة التي تتملكه في الاتصال بالجنس الآخر، أثناء فترة المراهقة ولكنه قبل أن يدرك هذا التغيير الذي اعتراه فجأة يكون قد تخطى مرحلة المراهقة وبدأ مرحلة الرجولة، أما المرأة فهي تمر بمراحل عدة في حياتها تتغير فيها وتتبدل شكلاً وموضوعاً فمن طفولة إلى أنوثة في المراهقة وما يصحب ذلك من تطورات مثل الدورة الشهرية التي تدفعها إلى العزلة والانطواء إلى امرأة وزوجة تحمل وتلد وترضع صغارها وهي في كل مرحلة من هذه

المراحل تتميز بحساسية بالغة لتلك التغيرات المفاجئة التي طـرأت عليهـا وعلى تكوين جسمها، واستحوذت على كل تفكيرها.

ومن هنا كانت المرأة بطبيعتها أكثر تعرضاً للتعب النفسي من الرجـل، فهي في تفكير دائم في هذا الانقلاب الذي حدث لجسمها في فترة المراهقـة ثم هي تفكر بعد ذلك في المستقبل الذي ينتظرها من الرجل الذي سيكون لها زوجاً وهي تفكر فيما بعد الزواج، في حياتها الجديـدة بعيـداً عـن بيـت أسرتها.. خواطر كثيرة تستبد بها وتسيطر على كل تفكيرها وهـذا التفكيـر المستمر يؤثر على حالتها النفسية قبل الزواج وبعده.

بداية مرحلة جديدة حيث تبدأ المرأة مرحلة جديدة في حياتها بعد زواجها وهي مرحلة استقرار ذهني ولكنها في نفس الوقت مرحلة مليئـة بالأعبـاء والمسئوليات والواجبات وفجأة تجد نفسها في صراع مستمر مع الزمن فـي سبيل القيام بدورها كاملاً كامرأة فهي زوجة وهي أم وهي عاملة، إذا كانت تعمل سواء في البيت أو في السوق، وهي بعد هذا مسئولة عن تربية أطفالها والعناية ببيتها والقيام بدورها في المجتمع، والجمع بين كل هـذه الوظـائف والأعباء يضاعف من صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المرأة، ويثيـر فـي نفسها الخوف من الفشل فيدفعها إلى التفكير في هذه المرحلة ولكنه تفكير من نوع جديد. ونتيجة لذلك تتعرض المرأة مرة أخرى للشعور بالتعب النفسـي الذي تشكو منه وتبحث له عن علاج في عيادات الأطباء وهو كمـا ذكرنـا تعب نفسي وإن كان لا يخلو أيضاً من التعب الجسماني أيضـاً. ولنتصـور المرأة، وهي تبدأ يومها بتلك السلسلة من الأعمال والواجبات التي لا تنتهـي إنها أول من تستيقظ في الصباح، وآخر من يذهب إلى النوم في المساء فهي تريد أن تعد طعام الإفطار لزوجها الذي أيقظته من نومه منذ دقائق، حتى لا يتأخر عن موعد ذهابه إلى عمله ثم يأتي دور الأطفال، وهم يتوقعون مـن أمهم أن تعاونهم على ارتداء ملابسهم، إذا كانوا صغاراً وتعد لهم إفطـارهم

للذهاب إلى المدرسة ويأتي بعد هذا دورها هي، إما إذا كانت عاملة في خارج البيت سارعت بارتداء ملابسها لتذهب إلى مقر عملها، مرجئة تنظيف البيت وإعداد الطعام إلى ما بعد عودتها من عملها. وإما إذا كانت «ربة بيت» فقط، وبعض من هن الزوجات اللواتي لا يخرجن للعمل ويساهمن في تكاليف المعيشة وأعباء الحياة في هذه الأيام بدأت تباشر عملها بين إعداد طعام «الغداء في المطبخ، وبين تنظيف البيت وترتيبه، وإعداد الملابس النظيفة لأفراد الأسرة». وتمر ساعات الصباح بطيئة ثقيلة، وهي في حركة دائبة لا تهدأ وقد ينتهي عملها في هذه المملكة الصغيرة المتقلبة وقد لا ينتهي وهي في الحالتين فريسة لمجهود جسماني أو ذهني أو الاثنين معاً. فهي إذا فرغت من عمل البيت، جلست لتستريح أو لتبحث لنفسها عن شيء يسليها حتى يحين موعد عودة زوجها من عمله وأولادها من المدرسة ولكن أين تجد هذه التسلية لقد ملت الاستماع إلى برامج الإذاعة أو التلفاز وقد تلجأ إلى مكتبتها الصغيرة لتبحث لنفسها عن كتاب تقرأه، ولكنها تتذكر فجأة أنها لم تزر دار الكتب منذ زمن بعيد، ولم تضف إلى كتبها، كتابا جديداً. وتضطر إلى العودة إلى كتاب قديم، فتتصفحه في عصبية، لأنها لا تجد فيه جديداً، لقد قرأته أكثر من مرة كانت تعجبها الفلسفة أو التربية وربما الموضة والطبخ كما أنها ربما تميل إلى قراءة تاريخ الناس والشعوب، ولكن كل هذا لا يحرك فيها ساكناً الآن فقد حفظتها ربما عن ظهر قلب ولا تجد أمامها في النهاية إلا الجلوس والانتظار ويعود الزوج ويعود الأولاد أخيراً من المدرسة وتحاول الأم أن تبدو سعيدة بلقائهم مسرورة لعودتهم وهي سعيدة فعلاً، ولكن المجهود الذي بذلته طوال فترة الصباح، ترك أثره واضحاً عليها، فحرمها من لذة استقبال زوجها وأطفالها عند عودتهم من الخارج، بالروح التي تشتهي أن تستقبلهم بها. ثم إن هناك مسئولية جديدة حيث تجد أن المرأة نفسها موزعة بين إعداد مائدة الغداء وبين الاهتمام بزوجها بعد يوم حافل بالعمل وبين تلبية طلبات أولادها الذين يلاحقونها في كل مكان من البيت

وكثيراً ما تكون فترة بعد الظهر بداية يوم جديد من العمل بالنسبة للزوجة إذا كان زوجها يذهب إلى عمله مرة أخرى في المساء أو إذا كان صاحب مهنة تتطلب منه الإعداد لعمل اليوم التالي في مكتبه الخاص في البيت ذلك لأن الأم في هذه الحالة سوف تتحمل مسئولية مراقبة أطفالها والإشراف على استذكارهم لدروسهم وهو عمل كان من الممكن أن يساهم فيه الأب، ويحمل مسئولية أدائه وبذلك يخفف عن امرأته بعض أعبائها. وهكذا ينقضي اليوم والرجل مشغول بعمله في مكتبه أو في المكتب والبيت معاً والمرأة موزعة بين واجباتها كأم وبين واجباتها كعاملة وواجباتها كزوجة يتوقع منها زوجها أن تعطيه بعضاً من اهتمامها وبين واجباتها إزاء المجتمع الذي تعيش فيه وهي وسط هذه الدوامة تحاول جاهدة أن توفق بين كل هذه الواجبات على حساب صحتها وراحتها وأعصابها.

فإذا جاء المساء أحست المسكينة برأسها يكاد ينفجر وبقدميها لا تقويان على حمل جسمها وتتمنى لو أنها رقدت في فراشها لتريح جسدها المهدود وفجأة يظهر الزوج خارجاً من غرفة مكتبه لقد فرغ من عمله وهو يريد أن ينعم بسهرة طيبة فيدعوها إلى تناول العشاء معه في الخارج أو إلى زيارة بعض الأصدقاء وتسمع دعوته وتشعر بالدنيا تدور من حولها، وكأنها توشك على السقوط على الأرض مغشياً عليها! لقد كانت هذه الدعوة آخر شيء يخطر على بالها لكن لابد لها من المجاملة مع زوجها وتخفى تعبها وتتكتم حقيقة شعورها لأنها رأت في عينيه رغبة صادقة في الخروج من البيت والترويح عن النفس وهي لا تريد أن تحرمه من هذه السهرة. فترتدي ملابسها، وتتحامل على نفسها وتخرج معه وتنتهي السهرة التي بذلت فيها مجهوداً كبيراً في مجاملة الناس والاستماع إلى حديثهم والضحك لفكاهتهم ويعود الزوجان إلى البيت، وينام الزوج أما هي فقد هرب النوم من عينيها يا لها من تضحية تقدمها هذه المرأة ومن مجاملات من أجل إسعاد زوجها

وهي تعاني بالألم يمزق أوصالها، وتحس بحمل ثقيل يطبق على رأسها وتمد يدها في هدوء باحثة عن الأقراص المنومة لتأخذ حبة أو حبتين وتنام أخيراً ولكنه نوم قلق مضطرب لم يعطيها ما كانت في حاجة إليه من راحة وما كانت تطمع فيه من استرخاء. وهكذا تسير حياة المرأة المتعبة وهو تعب جسماني ونفسي معاً. فلو درسنا حالة هذه المرأة لوجدنا أن هناك عاملاً هاماً كان له أثره المباشر في مضاعفة الشعور بالتعب الذي تعاني منه ألا وهو حرمان نفسها من حرية التعبير عن حقيقة مشاعرها فلو أنها مثلاً اعتذرت لزوجها عندما دعاها إلى الخروج في المساء، وقالت له بصراحة أنها متعبة، وأنها في حاجة إلى النوم والراحة لوفرت على نفسها تعباً ضاعف من تعبها، ولو أنها بقيت في فراشها في الصباح واعتذرت عن النهوض في هذه الساعة المبكرة لأنها لم تحصل على قسط كاف من النوم لأنقذت نفسها من مضاعفات خطيرة قد تؤدي إلى أصابتها بأمراض يصعب علاجها ويطول، لو أن كل امرأة فكرت في المصير الذي ينتظر بيتها وزوجها وأطفالها لو ألم بها مكروه لأشفقت على نفسها وغنيت بصحتها، وتخلت عن المجاملات التي تقوم بها على حساب راحتها وأعصابها من أجل بيتها وزوجها وأطفالها.

ولكن ليس للمجاملات مكان بين الزوجين، فالصراحة بينهما يجب أن تكون حياتهما الزوجية وكما أن الرجل يفكر ويتكلم ويعبر بصراحة عما يدور في رأسه ويجول بخاطره فلابد للمرأة أيضاً أن تتمتع بهذا الحق فتعبر بصراحة عما يعتمل في صدرها من انفعالات ومما يتملكها من أحاسيس ومسلك الزوج هو الذي يحدد طريقة تصرف زوجته حياته وأسلوب معاملته لها هو الذي يشعر المرأة بقيمتها كزوجة وأم وشريكة له في الحياة وكل زوجة وأم تعمل في البيت، إذا لم يكن لها عمل آخر خارج البيت يشغلها عنه ولكن المهم هو ألا تنظر المرأة إلى عملها هذا كما لو كان واجبا يتحتم عليها أن تقوم به سواء أرادت أم لم ترد! استطاعت أم لا تستطيع. يجب أن تنظر

كل امرأة إلى عملها في البيت كما لو كان وسيلة من وسائل التسلية وقتل الوقت كما لو كان عملاً الهدف الأول منه قتل الفراغ الذي تعانيه كل زوجة تبقى وحدها في البيت بعد ذهاب زوجها إلى عمله وأولادها إلى المدرسة يجب أن تعتبره هواية لا واجبا يجب ألا تبدأ المرأة يومها في الصباح بالتفكير في الأعمال التي أرجأتها، والأعمال التي يتحتم عليها أن تقوم بها طوال اليوم! فمجرد التفكير وحده يهدأ الأعصاب ويقتل الرغبة في العمل.

لابد لكل امرأة أن تحطم الروتين اليومي يجب أن تغير دائما في طريقة حياتها وأسلوب معيشتها لابد لها من أن تجد صديقات تتحدث إليهن وتقضي معهن جانباً من الصباح في البيت أو في السوق أو في النادي أو في أي مكان ولن يضير الزوج أن يعود يوماً إلى البيت فلا يجد طبقه الشهي، وإنما يجد بدلاً منه طعاماً أعدته زوجته خفيفاً وليس دسما متنوع كما اعتاده زوجها دائما فالوحدة تؤثر على حياة المرأة تأثيرا سيئا والفراغ يجعل منها فريسة للأوهام والتخيلات والروتين يقتل فيها جانب الخلق والإبداع. كما يجب عليها إعطاء نفسها إجازة للخروج من البيت لتروح عن نفسها بالسفر ليكون لديها أياماً جميلة سعيدة مقبلة تنطلق فيها مع زوجها وأطفالها، موضع حبها، باحثة عن السعادة أينما وجدت. لكن نعود إلى مسلك الزوج والذي يحدد طريقة تعرف زوجته حياته وأسلوب معاملته، فالمرأة شديدة الحس بكل ما يتصل بعدد سنى حياتها على الأرض، والسبب في هذه الحساسية الشديدة هو الرجل، ذلك المخلوق الأناني الذي يريد دائما أن يملأ عينيه بميعة الشباب من حوله ثم هو الرجل مرة أخرى الذي لا يسير إلى الشيخوخة بنفس السرعة التي تعدو بها المرأة عدواً إلى السن الحرجة أو إلى سن اليأس، كما يسمونها ومعلوم أن لكل سن جماله ولكل عمر ميعته يجب أن تعلم المرأة ذلك إذن عامل الزمن عامل مهم، فالحياة لها نظام لابد لنا أن نعيش وهناك وقت نولد فيه، وهناك وقت نفترق فيه عن الدنيا ومن فيها وما

عليها.. وبين الوقتين، نكبر وتنمو، كأي مخلوق آخر حتى ونحن نعجز عــن أن نغير هذا التطور من الطفولة إلى المراهقة إلى النضوج ثم الشــيخوخة.. تماماً كما نعجز عن وقف عقارب الزمن أو منع غروب الشمس وشــروقها معلنة نهاية يوم وبداية يوم جديد. ولكن هناك فارق كبير بين من يتقبلون ما يحل بهم بإيمان ورضا وبين من يتحدون الزمن فيقاومونه بمــرارة ويــأس محاولين خداع أنفسهم وخداع الناس، فــلا يلبثــون أن يخســروا معركتــه، ويخسروا معركتهم ويخسروا معها شخصياتهم الضائعة وربما حياتهم نفسها.

فالحكمة هنا تأتي من الإدراك، إدراك عامل الزمن وأثره في حياتنا، ثــم إدراك التغيير الذي يطرأ علينا من سنة لأخرى، ثم إدراك حدود إمكانياتنــا وقدراتنا في كل سن وفي كل مرحلة من مراحل حياتنا. لكن هناك حقيقة أن بريق الحياة العصرية التي نعيشها كثير ما ينسينا أن ما كنا نستطيع أن نفعله بالأمس لا نستطيع أن نفعله اليوم وبذلك ننسى أثر الزمن في حياتنا وبعــض تصرفاتنا تؤكد هذا الرأي وتسانده فنحن مثلاً ننسى أن موعد نومنا قد حــان إذا جلسنا نرقب برنامجاً مسلياً على شاشة التلفاز، وننسى موعد الغداء عندما يدق جرس الهاتف وندخل في حديث ممتع مع الصديق الذي عاد بعد غيبــة طويلة من الخارج ودافعنا إلى هذه التصرفات وما يترتب عليها من إرهــاق لنا، ولابد إنما، هو حبنا للحياة نفسها، ورغبتنا في الاستقرار وخوفنــا مــن التخلف ثم محاولاتنا المستمرة في اللحاق بركب الشباب مهما تقدم بنا العمر. والمرأة أكثر ميلاً من الرجل للانجراف في هذا التيــار والظهــور بمظهــر الشباب، ناسية أو متناسية أن لكل سن جمالها ومباهجها. إن المرأة لكي تبدو منسجمة دائماً مع الزمن، لابد لها أن تعيش في الطور الــذي يؤهلــه لهــا عمرها. سئل أحد الفلاسفة سؤال عن أي النساء تحب؟ وأي النســاء تكــره؟ فقال: «أحب المرأة التي تبدو على طبيعتها تلك التي إذا نظرت إلى وجهها، استطعت أن أحسب عدد سني حياتها بلا عناء، وأكره المرأة المتصــابية الأم

التي تنافس ابنتها الشابة في زينتها وملبسها وتصر على أن ترافقها مع خطيبها، إلى مجتمعات الشباب بحجة أنها تريد أن تحميها من الفتنة، فإذا بالابنة تكتشف أن أمها قد سرقت خطيبها منها» (هذا الفيلسوف هو غربي).

ومعلوم أن الفتاة في سن الشباب ترتدي أجمل الثياب وتتجمل وتتزين، فتلك هي أجمل سنى حياتها العيون تلاحقها، وكلمات الإطراء تتسابق تهمس في أذنيها الحياة بالنسبة لها أنشودة جميلة تسمع ألحانها في نومها وفي صحوها أو عندما تقرأ وعندما تتنزه في كل شيء وفي كل مكان وفي كل وقت مع شروق الشمس وتحت ضوء القمر فدنياها أحلام، وعالمها ربيع دائم وزهور تملأ الهواء بريحها الذكي.

لكن ما هو موقف الأم من هذه الفتاة، وكيف تبدو، وكيف تعيش حياتها؟ وبعض الأمهات يفزعن وهن يرقبن بناتهن في هذه السن. وهو فزع مبعثه الأنانية يصيب الأم التي لم تنل قدراً كافياً من الثقافة، فتراها ترفض أن تعترف بدورها كأم فترى في ابنتها منافساً لها بعد أن كبرت وبلغت مبلغ النساء! ولا تزيدها الأيام إلا تمسكاً بالشباب وتعلقاً به، فلا تكاد الابنة تتزوج وتترك بيت والديها، حتى تهرع الأم إلى مرآتها تتطلع إلى وجهها، بحثاً عن بصمات تلك السنين التي أخذت منها لتعطي ابنتها، تلك الشعيرات البيضاء التي بدأت تتسلل إلى سواد شعرها ثم هذه التجعيدات التي تلتف حول عنقها وهذا الارتخاء الذي أصاب جلد وجهها حتى عيناها قد ذبلتا وجف بريقهما، ويستبد بها هلع قاتل وهي ترى جمالها يذوي. فليس هناك ما هو أشد إيلاماً على نفس المرأة من أن ترى صورتها في الأربعين أو الخمسين صورتها الطبيعية بلا رتوش وتسرع هذه الأم إلى أصباغها ومساحيقها لتستنجد بها لتختفي ما فعلته السنون بجمالها وتعود إلى ملابسها القديمة. فتكتشف فجأة أنها لم تعد تناسبها وأنه لابد لها من أن تشتري أثواباً جديدة أكثر شباباً، مثل هذه الأم التي تحاول عن جهل أن تتحدى الزمن، وقد صور لها تفكيرها

المريض أن الحياة قد انتهت بالنسبة لها، بعد أن رأت بعينيها ما فعله الزمن بوجهها في مرآتها. وتنسى أنها بمحاولاتها اليائسة إعادة عقارب الزمن إلى الوراء، سوف تخسر نفسها وتخسر معركتها مع الحياة ذاتها وليس هذا هــو حال كل الأمهات فالأم الجاهلة هي وحدها التي يمكن أن تقع في مثل هــذه الأسواء.. ولكن المرأة المثقفة العاقلة، هي التي تجد في كل مراحل حياتهــا، منذ ذلك اليوم الذي تزف فيه عروساً لرجلها، حتى يبلغ سن الشيخوخة، متعة وحياة وجمالاً، وإن اختلفت مقاييسها إلا أنها تبقى في النهاية حيــاة جميلــة حافلة بالأيام الحلوة والذكريات الحافلة ثم إن الفتاة عندما تتزوج وتصبح أما تتخلى عن الكثير من حريتها، وعن بعض جوانب حياتها الخاصة في ســبيل إسعاد زوجها وأطفالها وليس معنى هذا أنها تهمل نفسها فتصبح (عبدة) لهم، وإنما معناه أنها لن تكون نفس الفتاة التي كانت تقضي معظم أوقات فراغهــا فيما يفيد وزين حياتها. وعندما يكبر الأطفال وتكبر أمهم معهم فترى فــيهم شبابها وليس هناك أسعد من الأم التي تتخذ من أولادها وبناتها إخــوة لهــا، يحدثونها عن مشروعاتهم للمستقبل، وللزواج، ويبثونها آلامهم ويلجئون إليها في مشاكلهم، ويلتفون حولها ويسهرون بجوار فراشها إذا أحست بالتعــب أو ألم بها مرض، فهي أمهم وهي صديقتهم وهي أختهم الكبرى. فالمرأة العاقلة أو الأم المثقفة هي التي تعيش عمرها، كما قــدمنا، فــإذا بلغــت الخامســة والأربعين أو الخمسين، لم تفعل إلا ما تفعله المرأة في هذه السن. فتبدو كما تبدو أية امرأة أخرى مثل عمرها.

6- دور المرأة المسلمة في بناء الأسرة

لقد استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان في عمارة الأرض، واستخراج خيراتها وثمراتها، وإقامة العدل وتحقيق السعادة والرفاهية في جوانبها، مع الإيمان بالله وحسن عبادته، وفي ظل طاعته والاهتداء بشريعته. وزوده جلت حكمته بالطاقات المادية والروحية والعقلية التي تؤهله لهذه الخلافة الكريمة، والرسالة السامية دون من عداه من ملائكة وغيرهم. وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (البقرة، آية: 30-33).

إن نظرة الإسلام إلى المرأة أنها «إنسان» وهذه كلمة وردت في اللغة العربية على أنها للذكر والأنثى وقد وردت كلمة إنسان في القرآن الكريم

خمساً وستين مرة في حين لم ترد كلمة إنسانة ولا مرة واحدة، وهذا من باب التأكيد على أن الإسلام خاطب الإنسان.

نفهم من هذا السياق أن المرأة هي إنسان لا تختلف عن الرجل في إنسانيتها وبهذا تكون المرأة أخت الرجل لأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس من أصل مشترك، ونفس واحدة، وجعل منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وزود كل من الرجل والمرأة بصفات مشتركة بينهما، وخصائص مميزة لكل منهما، في التكوين الجسمي والنفسي، وبذلك يتم بينهما التجانس والتكامل معاً أو يتحقق التعاون والتكافل، والمودة والرحمة، في قافلة الحياة الطويلة ومسيرتها ورسالتها.

يقول الله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء، آية: 1).

ويقول عز وجل:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم، آية: 21).

فالرجل أب المرأة وابنها، وأخوها وزوجها والمرأة أم الرجل وبنته، وأخته وزوجته، يستمد كل منهما وجوده من الآخر، ولا تكتمل سعادته إلا به، فلا يستغنى أحدهما عن أخيه، ولا تتسم عمارة الدنيا بأحدهما وحده. لذا فإن الإسلام حدد الأحكام الخاصة بعلاقة المرأة بالرجل في محيط الأسرة

وهي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع الكبير كله وبينت هذه الأحكام حقوق وواجبات والتزام أثراه بأن تكون زوجة صالحة ترعى بيتها أو تحقق السكن النفسي لزوجها وأولادها، وأما كانت الجنة تحت أقدامها، يقول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته الرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عن رعيتها» ويقول رسول الله عن نساء قريش: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده».

وتشكو هند بنت عتبة وهي من نساء قريش تقول في شكواها عن زوجها إلى رسول الله ﷺ: «يا رسول الله، إن أبا سفيان وهو زوجها رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم» فيطلق يدها في مال زوجها الذي تحتاج إليه هي وأولادها في حدود المعروف المألوف، من غير إفراط ولا تفريط ودون استغلال أو خيانة، فيقول: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

ثم يأتي دور الرجل في بناء الأسرة بالتعاون مع المرأة لكن الإسلام يعتبر الرجل رأس الأسرة حيث أن هذه الجماعة الصغيرة وهي الأسرة من رئيس قوي أمين يسوسها بالحق والعدل والخير والمحبة، فكان هذا الرئيس هو الرجل، لما تميز به من قدرات وخصائص، وما ألزم به من مسئوليات مادية وأدبية.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1]، ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]

وليست هذه الرياسة استبداداً ولا تحكماً ولا تعالياً، ولا أثرة ولا أنانية، وإنما هي رياسة الحكمة والمصلحة التي تظهر بالتفاهم الحر، والتراضي بين الزوجين، والشورى الأمينة في أمور الزوجية وشئون الأسرة، ورعاية الأولاد، وهذا ما تنطق به الآيات القرآنية.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[3]، ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[4]، ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾[5].

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾[6]، ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[7] فإذا كان دور الرجل في الرأسة فإن هنـــاك دور لا يستطيع الرجل القيام به وهو دور الحضانة فهي أقدر من الرجل لما تحملـــه

(1) النساء، آية: 34
(2) البقرة، آية: 228
(3) البقرة، آية: 228
(4) النساء، آية: 34
(5) الطلاق، آية: 6
(6) البقرة، آية: 233
(7) الطلاق، آية: 6

المرأة من حنان وعطف ودفء وصبر تجعلها أقدر من الرجل على تعهد الصغير والعناية به في تلك المرحلة وقد ورد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ «يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وأن أباه طلقني، وزعم أنه ينتزعه مني، فقال لها الرسول الكريم: أنت أحق به...».

كما روي أن عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يضم ابنه عاصماً إليه، وهو في سن الطفولة، ورأت أمه أو جدته – بحسب اختلاف الروايات – إبقاءه عندها، ورفعا الأمر إلى الصديق أبي بكر ﷺ فقضى بضمه إلى أمه أو جدته وقال في حيثيات حكمه:

«الأم أعطف وألطف وأرحم، وأحنى وأخير وأرأف.. ريحها ومسها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك يا عمر» وبجانب هذا جاءت أحكام الشريعة الإسلامية مؤسسة على أن المرأة لها كيانها الخاص واستقلالها الذاتي وذمتها المالية المنفصلة عن ذمة أبيها وعن ذمة زوجها، لا شأن للأب ولا للزوج ولا لغيرهما بمالها، بل أنها حرة تتصرف فيه بجميع التصرفات الرشيدة كالرجل تماما، تبيع وتشتري، وتؤجر وتستأجر، وتهب وتوصي وتقف وتتصدق وتعير وتستعير وترهن وتكفل وتتاجر وتزرع وتصنع إلى غير ذلك مما كان أو يكون من عقود وتصرفات وأعمال مالية وتجارية سداً للحاجات الشخصية والعائلية والاجتماعية.

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[1]، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ

[1] النساء، آية: 7

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[1]، ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾[2].

وإنما كان نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل بحسب الأصل وفي أغلب الحالات، مراعاة لقلة التزاماتها العائلية والاجتماعية، وكثرة التزامات الرجل العائلية والاجتماعية، وتعادلا بين المغانم والمغارم، وتنسيقا بين الحقوق والواجبات، ومع هذا فإنها قد تتساوى مع الرجل في بعض الحالات أما أو أختا من الأم.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ﴾[3]، ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾[4].

ومع أن استقلال المرأة بأمر الزواج وتوليها له كان محل خلاف واسع بين الفقهاء على تفصيل لا يتسع له المقام، فلم يعطها أكثرهم هذا الحق مستدلين بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، ولأن الزواج يعقد لغايات سامية، ويندمج به الزوج في أسرة زوجية- فمن المصلحة العناية والاحتياط في اختياره وانتقائه من أول الأمر، لأن سوء الاختيار فيه يصعب تداركه والخروج من مأزقه. والمرأة وحدها قد لا تحس ذلك، وعدم خبرتها بأحوال الرجال وأخلاقهم وأسرارهم، وهم صناديق مغلقة، وبخاصة إذا احتكمت إلى

(1) النساء، آية: 11
(2) النساء، آية: 12
(3) النساء، آية: 11
(4) النساء، آية: 12

عواطفها وحدها في هذا الشأن. وإنما يحس ذلك وليها الذي يعنيه أمرها كما يعنيها تماما، ويختار لها ولنفسه في روية، عن خبرة بالرجال وأحوالهم وهو أعرف بهم، لأنهم أقرب إليه منها، دون أن يتأثر بهوى أو عاطفة، وهي بجانبه تمده أو تشاركه برأيها. ومع هذا فإن فريقا آخر أعطاها هذا الحق كاملا، مستدلين بآيات قرآنية وأحاديث نبوية أيضا وقائلين: إن المرأة كاملة العقل والأهلية، وهي صاحبة الحق والمصلحة أولا في أمر زوجها، فكيف يتصرف غيرها في حقها مهما يكن، إن البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من مالها إلا برضاها، ولا يجوز له أن يجبرها على إخراج اليسير منه، فكيف يجوز أن يزوجها ويخرج منها جسمها ونفسها وكيانها بغير رضاها إلى من يريده هو، وقد تكون من أكره الناس له وقد يكون أبغض شيء إليها، ومهما يكن الأمر في ترجيح أحد الرأيين على الآخر، أو التوفيق بينهما كما ذهب بعض الفقهاء بجعل الأمر شركة بين المرأة ووليها، ثم اختيار أحد الآراء للعمل والتطبيق، نظرا لقوة الدليل، وتحقيق مصلحة الأسرة الصغيرة والمجتمع الكبير في الأخذ به، حسبما تقتضي الظروف الاجتماعية مهما يكن الأمر، فإن الفقهاء يلتقون في أن زواج المرأة يعنيها ويعني أولياءها، وأن اختيار الزوج يجب أن يكون عن بصر وروية منها ومن وليها لبناء أسرة مستقرة، متوادة ومتراحمة تحقيقا للسعادة الزوجية، والسكن النفسي، وابتعاداً عن الإضرار بالمرأة وأوليائها. وهم بنيان واحد يشد بعضه بعضا، تؤذي المرأة ما يؤذي أولياءها كما يؤذيهم ما يؤذيها.

وحين أعطاها بعضهم ولاية عقد الزواج باعتبارها صاحبة الحق الأول، فقد رغبوا إليها ألا تتولى عقد الزواج بنفسها، احتكاما إلى العرف ومحافظة على الحياء وهو زينتها وتاجها، والحياء من الإيمان، كما أعطوا لوليها حق الاعتراض إذا أساءت الاختيار. وحين أعطى أكثرهم هذا الحق لوليها حسما

للأمر من أوله، فقد أوجبوا عليه أن يكون هدفه مصلحتها وسعادتها وهناءتها ومن المقررات الفقهية أن تصرف الأولياء منوط ومرتبط بالمصلحة، كما أعطاها بعضهم حق طلب الطلاق إذا تضررت من هذا الزواج.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ هذا في نطاق الأسرة الصغيرة

لكن إذا خرجنا من نطاق هذه الأسرة إلى ساحة المجتمع، لم نجد تفصيلاً في الأحكام كما كان الحال داخل الأسرة، وإنما نجد القواعد العامة والأسس الرئيسية، فالإسلام يدعو المرأة إلى ميادين الطاعة والعمل النافع والخدمة الاجتماعية، بقدر طاقتها، وبحسب خصائصها واستعداداتها وكل ميسر لما خلق له يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾.

يروى أن أم سلمة سألت رسول الله ﷺ وقالت: ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء فنزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

يعطف النساء على الرجال في جميع الأوصاف الكريمة التي ذكرتها الآية، والتي ترجع إليها الفضائل الإنسانية والاجتماعية بالتسوية بينهم في المغفرة والأجر العظيم.

ومن هنا على المرأة أن تتعلم علوم الدين وعلوم الدنيا، وتزود نفسها بسلاح المعرفة في العلوم والفنون والآداب اللائقة بها، والقادرة عليها والنافعة لها ولأسرتها ولمجتمعها، إسهاماً في رفع مستوى الحياة مادياً وأدبياً وقياماً بالفروض الإسلامية الجماعية التي لا يتوجه فيها الطلب إلى كل فرد بعينه، وإنما يتوجه إلى الجماعة كلها- رجال ونساء حتى يوجد لكل عمل من أعمال الحياة الدنيا وما أكثرها من يقوم به على خير وجه وأتمه.

7- التوتر في الأسرة

كيف نقيس حدته ونخلص أنفسنا منه؟

كل واحد منا الرجل في عمله وربما المرأة في عملهـا، والشـاب فـي مدرسته أو جامعته والفتاة وسط زميلاتها كلنا يعاني من التـوتر لسـبب أو لآخر في حياته اليومية.. وهذا الشعور الذي ينتابنا، هو شعور طبيعي، بـل هو وظيفة من الوظائف الأساسية للحياة.. تماماً كما نشعر أحياناً بـالجوع أو العطش فنأكل لنشبع أو نشرب لنرتوي! إنه رد فعل صـحي يتولـد داخـل نفوسنا عندما نواجه خطراً يهدد سلامتنا ورفاهيتنا وسعادتنا. ومن أجل ذلـك لا يجب أن يكون إحساسنا بالتوتر مدعاة لقلقنا رغم ما يتركه هذا الإحسـاس من أثر على تصرفاتنا ومسلكنا إزاء الآخرين وإنما يكون القلق إذا عاودنـا التوتر على فترات متقاربة، وإذا هزنا هذا الإحساس وقلب كياننـا، ثـم إذا فشلنا تماماً في التخلص منه أو التخفيف من أثره.. ولكن كيف نكشف أنفسنا، كيف نعرف أننا نعاني من التوتر بهذا القدر الذي يجب أن يثير اهتمامنا.

يقول علماء النفس إنه من السهولة بمكان أن يتعرف المرء علـى مـدى حدة التوتر الذي يعاني منه في حياته اليومية، لو أنـه أمعـن النظـر فـي تصرفاته وفي طريقة تفكيره وموقفه من الآخرين وهم يطلبون منه الإجابـة على بضعة أسئلة قصيرة أعدت بعناية، بشرط أن تجيء إجاباتنا بعـد تـرو وإمعان، وأن تكون إجابة أمينة نضعها وحدنا أو بالتعاون مع هؤلاء الـذين يشاركوننا حياتنا في عملنا أو في بيوتنا، فكثيراً ما يعجز الإنسان عن رؤيـة نفسه. وهنا عدداً من التساؤلات هل نرتبك إذا صادفتنا مشـكلة صـغيرة أو

أحسسنا بخيبة أمل لأننا لم نحقق أمر كنا نصبوا إليه؟ هل نجد صعوبة في التفاهم مع الناس وهل يجد الناس بدورهم صعوبة في التفاهم معنا؟ هناك أشياء صغيرة تمر بنا في حياتنا اليومية ولكنها، رغم صغرها وبساطتها، تثير في نفوسنا ارتياحاً وسعادة كابتسامة طفل مثلاً، عندما يلقانا عند عودتنا إلى البيت من العمل، أو طبق الطعام المفضل، الذي وجدناه يتوسط مأدبة الغداء فهل تفشل مثل هذه الأشياء في إثارة اهتمامنا وإسعادنا؟ هل نعجز أحياناً عن التفكير فيما يساورنا من قلق أو نشعر بالقلق دون أن ندري سبباً واضحاً له؟ هل نخشى الناس والمواقف التي لم تكن في الماضي تهزنا أو تثير رهبتنا؟ هل نشك في أصدقائنا وفي نواياهم تجاهنا؟ هل نعمد إلى تعاطي الحبوب المهدئة للأعصاب والأقراص المنومة؟

يقول العلماء إذا كانت الإجابة بنعم على معظم هذه الأسئلة، فصاحبها يعاني قدراً كبيراً من التوتر، رجلا كان أم امرأة، ولكنهم يؤكدون بعد ذلك أنه ليس معنى هذا أن كارثة توشك أن تحل بهم، وإنما معناه أن الحالة تتطلب علاجاً سريعاً فكيف يكون هذا العلاج ومن أين يبدأ! هذه بعض النصائح التي يتوجه بها العلماء إلى كل أب يعاني من التوتر وكل أم تشعر بالقلق وكل شاب وكل فتاة يسعى أو تسعى إلى التخلص من هذا الإحساس الذي يدفع بصاحبه إلى هاوية سحيقة من الأوهام والتخيلات ثم إلى عيادات الأطباء النفسانيين في نهاية المطاف فإذا أحسسنا بأن هناك أمراً يقلقنا، وأدركنا ماهية هذا الأمر، فلا يجب أن نكتمه في صدورنا، لأننا بذلك نكون أشبه بوعاء ملأنه بالماء وأحكمنا إغلاقه، ثم وضعناه فوق نار ليغلي فهو لا يلبث أن ينفجر ويصيب كل من حوله.

لابد لنا إذن أن نبوح بهذا الذي يقلقنا لشخص ما، نرتاح إليه ونثق في نصحه وإرشاده، فالزوج يحدث زوجته ويطلب رأيها. والزوجة تلجأ إلى زوجها وتسر إليه بأسباب قلقها والأبناء يتوجهون إلى أبائهم أو إلى كبير في

الأسرة وربما كان أقرب الناس إليهم كثير من الأحيان هم مدرسيهم وأساتذتهم فالإفضاء بأسباب القلق، يعرضها للضوء وكثير ما يساعد إخراجها على إيجاد حل لتلك المشاكل والعقبات التي أثارت في نفوسنا هذا الشعور وبمجرد شعورنا بأننا لا نقف وحدنا يبعث في نفوسنا الراحة والطمأنينة. ثم إن العيش في المشكلة يضاعف من أثرها ولهذا ينصح العلماء بالهرب منها؛ فإذا استطاع المرء أن يغرق نفسه وتفكيره في شيء آخر لا يمت إلى مشكلته بصلة، كأن يستغرق في قراءة كتاب جديد أو يذهب لمشاهدة برنامج تلفازي حول موضوع مثير أو يشغل نفسه برياضة أو لعبة مع زملائه وأصدقائه فهو قد نجح في التخفيف من أثر الأزمة التي يمر بها أو المشكلة التي تواجهه وقد يكون في الابتعاد عن مسرح الأزمة أيضا بعض الأثر في التخفيف منها، ورحلة قصيرة إلى مكان قصي هادئ يمكن أن يغير من نظرتنا إلى مشكلتنا، وتعاوننا على التفكير بطريقة سليمة وتساعدنا في النهاية في التغلب على العقبات التي تعترض طريقنا بعد أن نكون قد استرحنا ذهنياً وعاطفيا، أما الوقوف في أماكننا بلا حراك، فهو أشبه ما يكون بعقاب للنفس، اخترناه بأيدينا لذا علينا تجنب الغضب لأنه أسوأ السبل التي يمكن أن نطرقها للتنفيس عما يعتمل في صدورنا من ضيق وقلق لهذا يجدر بنا أن نتريث ونفكر مرتين قبل أن نطلق العنان لثوراتنا وليس معنى هذا أن نكتم غضبنا، فكتمان الثورة ومنع خروجها إلى السفح، يضر بنا ويؤثر على حالتنا الصحية والنفسية، ولكن معناه أن نهدئ منها بقدر ما نستطيع بحيث لا يشكل انفعالنا خطر على من يحيطون بنا، وما يترتب على ذلك من شعورنا بالأسف والندم بعد أن نهدأ ونعود إلى حالتنا الطبيعية وهناك عدة وسائل لكبح جماح غضبنا واحتوائه، كأن نترك المكان الذي اخترناه مسرحا للتنفيس عن ثورتنا ونبتعد عن الأشخاص الذين أعددنا العدة لأن نجعل منهم ضحية لغضبنا فنخرج في نزهة قصيرة مشياً على الأقدام أو نتذكر دائما أن العمر قصير من أن نضعه في الهياج والعراك.

إذن لابد لنا أن نضع أعصابنا في ثلاجة في مواجهة التحديات وحتى لو كنا نؤمن بأننا على حق، لا يجب أن نجاهر برأينا في تحد وإصـــرار لابـــد أن نفسح المجال لغيرنا لكي يبدي رأيه بنفس الحرية التي أردناها لأنفسنا ومـــن يدري، قد نكون على خطأ رغم اقتناعنا بصحة ما نراه وليس هذا استســـلاما فهناك فرق واضح بين الهدوء والخشوع والحجة القوية تعرض نفسها دائمـــا في أية مناقشة بهذا وحده نستطيع أن ننتزع احترام الناس لنـــا ونســـتطيع أن نجمع حولنا أكبر عدد من المؤيدين والأصدقاء ولنتذكر دائمـــا أن الأطفـــال وحدهم هم الذين يتمسكون برأيهم وهم الذين لا يكفون عـــن الشـــجار مـــع زملائهم من الأطفال. وكثير ما نكتشف أننا نعيش لأنفسنا فقط وهـــذا أســـوأ موقف يمكن أن يقفه إنسان في الحياة فالمجتمع قائم على التعاون ولا حيـــاة بغير أخذ وعطاء المهم أن يعطي المرء بقدر ما يأخذ وهذا الاكتشاف الـــذي قد يتوصل إليه البعض منا في بعض الأحيان، يؤدي بنا إلى الشعور بالعزلة وبالتالي إلى ازدياد حدة التوتر عندما يجد المرء نفسه وحيداً وسط هذا العالم المغلق الذي اختاره لنفسه ولا سبيل للتخلص من هذه الحالـــة إلا بـــالخروج والاختلاط بالناس ومساعدة المحتاجين منهم على قدر ما تسمح بـــه قـــدراتنا وإمكانياتنا. وقد يكون التوتر ناتج عن العمل في كثير من الأحيان قد يكـــون سبباً في شعورنا بالتوتر وخاصة إذا كان عملاً ذهنياً يتطلب قدراً كبيراً مـــن الدراسة والبحث والتفكير، فإذا تراكمت علينا أعمالنـــا أحسســـنا بالارتبـــاك ووقفنا أمامها حيارى لا ندري من أين نبدأ وكيف ننتهـــي؟ والســـبيل إلـــى التغلب على هذا الشعور، هو أن نحاول أن ننسى أو نتناسى حجم هذا العمل الكبير المطلوب منا إنجازه، وأن نشرع في تأدية أعمالنا بتأن وفي هدوء تام فنفرغ من إعداد الأهم ثم الأهم وهكذا، دون أن نعبأ بملاحقة أحد لنا فما دمنا نعمل، ونحرص على أن نستغل كل دقيقة من وقتنا في عملنا، فلابد واصلون في النهاية ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

لكن الشعور في بعض الأحيان بأننا لم نحقق ما كنا نصبو إليه من نجاح في حياتنا العملية يثير القلق في نفوسنا، ويدفعنا إلى محاولة الإجادة في كل عمل نقوم به وهذه المحاولات اليائسة، هي أولى خطوات الفشل فلا يوجد إنسان يستطيع أن يجيد كل الأعمال وأول شيء يتحتم علينا أن نفعله هو أن نبحث عن العمل الذي نجيده فإذا وجدناه ركزنا كل طاقتنا وخبراتنا وجهدنا في سبيل إحداثه وتجويده وبهذا نحقق الشعور بالارتياح الذي ننشده ونسعى إليه لابد لنا أن نتوقع الكثير من الآخرين من الزوج أو الزوجة، والأبناء أو الأصدقاء والأقارب ثم نفاجأ بأن شيئاً مما توقعناه لم يحدث ومن هنا يتولد الشعور في داخلنا بخيبة الأمل والتعاسة وأمثال هؤلاء، سواء كان شعورهم حقيقياً أم مجرد أوهام وتخيلات، يجب أن يتذكروا دائماً أن لكل فرد حياته الخاصة ومشاكله ثم يسأل نفسه ماذا فعل هو إزاءها.

وهو لكي يتخلص من هذا الشعور فلابد له أن يتلمس الأعذار لهؤلاء الذين تصور أنهم خذلوه أو تخلوا عنه.

8- إعداد الفتيات للزواج

في سن معينة، وهي غالباً ما تكون خلال فترة المراهقة.. تجـد الفتـاة نفسها نهباً لأفكار شتى تلاحقها في نومها وصحوها، فلا يلبث أن تجد عقلها الصغير قد شرد عن الكتب والدروس ليعيش لحظات مع أحلام اليقظة.. تلك الأحلام السعيدة التي تعاودها بين الحين والحين، بالمستقبل الذي تنتظره كـل فتاة عندما يجيء هذا اليوم الذي تلبس فيه فستان الزفاف الجميـل، وتتـأبط ذراع الرجل الذي اختاره والدها واختاره القدر معهما ليكون شريكاً لحياتها.

ولطالما تركنا بناتنا يسرحن مع أحلامهن السعيدة حتى جاء اليوم الـذي تحولت مع أحلامهن فيه الأحلام إلى حقيقة واقعة. ثم كانت التجربة الكبـرى تجربة الحياة نفسها فكم من فتيات سعدن في تجربتهن، ولكن كثيرات أيضـاً هن اللواتي شقين في زواجهن والسبب جهل الفتـاة بهـذه الحيـاة الجديـدة ومتطلباتها.

لماذا نعرض بناتنا إذن لاحتمالات النجاح أو الفشل في حياتهن الزوجية؟ لماذا لا نعد الفتاة للزواج تماما كما نعدها لكي تصبح طبيبـة أو مدرسـة أو ممرضة ناجحة؟ بحسبان أن الزواج مهنة إذن إعداد الفتاة للزواج ضـرورة ملحة حيث يتم هذا الإعداد بتقديم فصل كامل أو مادة من المواد الأساسية في أول سنة من الجامعة أو دورة تعد بالنسبة للفتاة للإعداد للزواج تلتقي الفتيات في صباح كل يوم في موعد الدراسة العادي أو إذا كانت مادة مـن ضـمن المواد الدراسية في الجامعة ولكن إذا كانت في دورة دراسية وليست مرتبطة بالجامعة سوف تتخلص من زي المدرسة أو الجامعة وتأتي بملابسها العادية كما تتخلص من كتب الرياضيات والعلوم والتاريخ وغيرها، التي رافقـتهن

طوال رحلة الدراسة، وتصبح كل فتاة في هذه الدورة حرة في اختيار الثوب الذي تراه مناسباً للحضور في المكان الذي تقام به هذه الدورة كما يسمح لها ولأول مرة، بأن تجمل وجهها، وتختار تسريحة الشعر التي تروقها، فمظهر الطالبة العام جزء أساسي من برنامج الدراسة وهي تتلقى فيه دروساً على أيدي خبيرات ومتخصصات في فنون التجميل. ثم تلتقي الطالبات في مجموعات صغيرة، تضم كل مجموعة خمساً أو ستاً منهن، وكأنهن باقات من زهور جميلة متباينة ويجلس الجميع حول موائد الشاي، كل مجموعة تشرف عليها مدرسة وأخصائية اجتماعية وفي هذا الجو العائلي يبدأ اليوم الدراسي وتبدأ الدروس وتستهلّ المدرسة حديثها في كل موضوع يتصل بالزواج من بعيد أو من قريب نفس الموضوعات التي طالما تحدثت فيها الطالبات، حديثاً خاصاً، بعيداً من أذان وعيون الكبار، ولا تكاد المدرسة تنتهي من حديثها، حتى يأتي دور الطالبات للإعراب عن رأيهن، فتعطي المدرسة لكل واحدة منهن الفرصة للإدلاء بوجهة نظرها والإفصاح عما يدور في رأسها من مسائل تشغل تفكيرها هذا البرنامج أو هذه الدورة التي تصورتها كفيلة بإعداد هذه الفتاة للزواج حتى يصبح بإذن الله زواجاً ناجحاً يبني أسرة متعاونة متكاتفة على أسس من الحب والمودة.

الآن ماذا عن المواضيع التي تقدم في هذه الدورة أو المادة الدراسية تطرح آراء للمناقشة وذلك بتقديم مجموعة من المواضيع ومن هذه الآراء:

1. ماذا تريد من الرجل الذي سيصبح زوجاً لها؟

2. كيف ستبدأ حياتها الزوجية وهل تفضل أن يهديها عريسها خاتم الزواج التقليدي أم يضع باسمها في المصرف (البنك) مبلغا من المال يستطيعان اللجوء إليه في الأزمات؟

3. هل تقيم حفلة زفاف كبرى تدعو إليها الأهل والأصدقاء، أم تكتفي بجعله زواج بسيط وتوفر الأموال التي كانت ستنفق على الحفل لاستكمال بيتها الجديد أو شراء سيارة صغيرة.
4. ماذا تفعل في محاولاتها للتعرف على هذا الرجل الغريب الذي ستشاركه حياته؟

هذه الأسئلة ربما تساعد الفتاة على معرفة زوج المستقبل لأن المجتمع السعودي والإسلامي لا يسمح باللقاء بينهما إلا بعد الخِطْبة (الملكة) من أجل التعرف على طباع زوج المستقبل وأخلاقه، أو عن طريق والدها أو أخيها، ثم من ضمن البرنامج مناقشة العيوب من قبل الزوجين حيث تطرح هذه الأسئلة للنقاش مثل:

1. كيف يكون موقفها (الزوجة) عندما تكتشف عيباً من عيوب زوجها. هل تصارحه لكي يعمل على أصلاح عيبه، ثم كيف تفعل ذلك دون أن تجرح شعوره. وكيف سيكون موقفها هي عندما يصارحها زوجها بعيوبها؟
2. ماذا تريد من حياتها الجديدة في بيت الزوجية؟ وهل تتفق مع زوجها على موعد إنجاب الأطفال وعلى العدد الذي يريدانه منهم أم تترك كل هذا للظروف؟
3. هل تلتحق بعمل لتعاون زوجها في بداية حياتهما أم تكتفي بالبقاء في المنزل والعناية بشئون بيتها وأطفالها؟
4. هل تعيش مع حماتها لأن زوجها غير قادر على إعداد بيت مستقل أو أن حماتها لا يعولها أحد غير ابنها أم تؤجل الزواج حتى يستطيعان معاً أن يوفرا نفقات وإعداد بيت الزوجية؟

5. كيف يكون موقفها من الأزمات المالية التي قد تصادفهما في حياتهما وهل تلجأ إلى والديها لطلب المساعدة، أم تعتمد على نفسها وعلى زوجها، فتحاول أن تضاعف دخل الأسرة عن طريق القيام بأي عمل في البيت أو خارج البيت.

مثل هذه المسائل وغيرها كثيراً ما تعرض على بساط البحث والمناقشة وتمضي كل فتاة في التعبير عن رأيها، ثم تختم الندوة بحديث للمدرسة التي تعلن رأيها هي ورأي الأخصائيات في كل سؤال من هذه الأسئلة التي ربما تستغرق ساعتين أو ثلاثاً من برنامج الدراسة النظرية كل صباح. ثم لأن يكون هناك درساً عملياً لذا يجب أن لا تقتصر الدراسة أو المادة الدراسية على الجانب النظري وحده، وإنما هناك جانب عملي لا يقل أهمية عن الجانب النظري حيث تتلقى الطالبة بمقتضى هذا البرنامج العملي دروساً في إعداد ثوب الزفاف، وفي تجميل وجهها وتسريحة شعرها، وفي إعداد بطاقات الدعوة لحفل الزفاف وفي استقبال المدعوين.. الخ، ثم يأتي الجانب الآخر من إعداد الفتاة للزواج وهو كيف تعد هذه الفتاة كربة بيت في هذا البرنامج بعد بيت صغير مؤقت أشبه ببيت الزوجية الذي ستصبح هي ملكته وسيدته وتدخل الطالبات البيت واحدة بعد أخرى، وتمضي فيه يوماً كاملاً وحدها تنظف فيه البيت، وتنظمه وتنسق أثاثه وتعد طعام الإفطار والغداء والعشاء، وتستقبل فيه ضيوفها من زميلاتها الطالبات والمشرفات اللواتي يعددن التقارير ويسجلن ملاحظاتهن على كل عمل قامت به الطالبة في بيت الزوجية هذا. وتنتقل الفتاة بعد هذا إلى دراسة دور الأم فيأتيان إليها بطفل صغير، ثم يعلمنها كيف تعتني به وتنظف له جسمه وتحيك ملابسه وتعد له وجبات غذائه. وأعتقد جازما أن هذه المواضيع التي سوف تطرح في هذه الدورة أو المواد الدراسية ستجد رغبة واستعداداً غريزيا من جانب

الطالبات لدراسة كل ما يتعلق بالأطفال ومشاكلهم أثناء هــذه التجــارب العملية بعكس ما كان يحدث أثناء برامج الدراسة الأكاديمية فالطالبة التي لم تظهر أي اهتمام بالرياضيات مثلاً أثبتت أيضاً أنها قد بلغت مرحلة لا بأس بها من النضوج، عندما يكون موضوع الحديث (الزوج المثالي)، أو ماذا أريد في الزوج؟ وفي هذه الدورة أو المواد الدراسية فــي الجامعــة لابد أن يحتوي هذا البرنامج أيضا على كيفيــة إعــداد ميزانيــة البيــت فالمسألة ليست هي قاصرة على ما تتلقاه الطالبــة مــن دروس نظريــة وعملية داخل جدران مركز التدريب أو من ضــمن المــواد الدراســية الجامعية إذا كانت هذه الفتاة طالبة في الجامعة، إذا لابد أن تقضي جزءاً كبيراً من وقتها في الخارج فهي تخرج في جولات في الأسواق لتدريس طريقة البيع والشراء، أو لتلم بمستوى الأسعار، أسعار الســلع والمــواد الغذائية من لحم وخضروات وخبز وأرز وغيرها حتى تستطيع أن تضع ميزانية لبيتها، وحتى تكون على بينة من النفقات التي تحتاج إليها طوال الشهر ولهذا كله علاقة مباشرة بمرتب الرجل الذي سيتقدم لخطبتهــا، إذ كثيراً ما يبدو المرتب كبيراً وهو غير كاف لضروريات الحياة وكثيراً ما يبدو المرتب صغيراً، وهو يكفي ويزيد ولا يمكن أن تحكم الفتــاة علــى دخل زوجها المرتقب إلا إذا كانت قد وضعت ميزانيــة دقيقــة لنفقاتهــا طوال الشهر. ومن ضمن البرنامج أيضاً زيارات للأسر حيث يتطلب من هذه الطالبة القيام بزيارات للأسر في بيوتهن، فتطرق الأبــواب وتبــرز بطاقتها الشخصية التي تحمل توقيع مديرة المركز أو أستاذ المــواد فــي الجامعة وتجلس إلى الزوجات وتتحدث معهن في المشاكل التي صــادفت كل واحدة منهن والأزمات التي تعرضت لها الزوجة في بداية حياتها مع زوجها وكيفية التغلب عليها وتسجل كل طالبة المعلومات التي حصــلت عليها في مذكرة صغيرة- تعود بها إلى المركز أو الجامعة لتناقشها مــع

زميلاتها ومشرفاتها في الندوة الصباحية التي تعقد يومياً. هذا المركز أو الجامعة للإعداد للزواج.

الهدف من إنشاء هذه البرامج من أجل إعداد جيل من الفتيـات اللـواتي يمكن أن يصبحن زوجات مثاليات فلا يكفي أن تكـون الفتـاة متعلمـة وحاملة لشهادة جامعية لتصبح زوجة ناجحة وإنما لابد من أن تكون الفتاة مثقفة خاصة تؤهلها لهذا الدور الكبير الذي ستقوم به في المستقبل وهـو دور له أهميته في مجتمعنا وفي كل مجتمع آخر غريب علينا في نجـاح الزواج أو فشله لا يكفي أن نرسل بناتنا إلى الجامعات ولكـن لابـد أن نعلمهن كيف يصبحن زوجات صالحات وناجحات.

9- الزواج أعظم تحديات الحياة لكل من الشاب والشابة المقبلين على الزواج

أعظم تحدي في الحياة، هو هذا الذي يواجهة الرجل في أعظم تجربة له في الحياة تجربة الزواج. ترى متى يكون الرجل مستعداً لقبول هذا التحدي؟ وهل هناك صفات خاصة يجب أن يتميز بها الرجل لخوض هذه التجربة تجربة الخروج من حياة الوحدة والتقيد برباط الزواج بكل ما يحيط به من واجبات والتزامات؟ ولنستمع إلى حديث من فتاة تبدي رأيها حول شريك الحياة. قالت الفتاة لأبيها، وكانت جميلة، ذكية مثقفة، لم يبخل عليها والدها بجهده وعرقه وماله، لكي يجعل منها سيدة صغيرة تستطيع أن تحتل مكانها في المجتمع قالت الفتاة تحدث أباها الذي قرأت في مكتبته العامرة، وتعلمت من كتبه الكثير من حقائق الحياة «لا أريد أن أتزوج منصباً يا أبي ولا أريد أن أتزوج شاباً مفتونا، فأنا أبحث عن رجل يحبني ويفهمني ويحميني!!» إن صورة الأب في مخيلة أبيها بحيث تتأثر غير واعية بشخصية أبيها، وخاصة إذا كان يخصها بحبه ورعايته، وهي أكثر ميلا إلى التعلق بوالدها في سن الطفولة، فإذا اجتازت هذه المرحلة وبدأت تخطو إلى المراهقة والشباب، بدأت تبحث عن فتى أحلامها بين الرجال الذين يعبرون معها طريق الحياة في المدرسة أو الجامعة، أو في مقر عملها بعد التخرج، ولكن مع هذا تبقى صورة أبيها عالقة في ذهنها فهي لا تكاد تلتقي برجل غريب وتشعر بينها وبين نفسها بأن شيئاً ما في هذا الرجل يجذبها إليه حتى تعود، إلى المقارنة بينه وبين والدها، أو رجل عرفته وهي طفلة وحملها بين ذراعيه ودللها وداعبها، واستجاب لنزعاتها ورغباتها وهي تفعل ذلك مرة أخرى بلا وعي

منها!. وعند الحديث عن الرجل متى يكون الرجل مستعداً للزواج، الجواب على هذا السؤال ليس هناك سن معينة للزواج وإنما هناك استعداد للزواج، وهذا الاستعداد لا يتحقق إلا إذا كان الرجل قد وضع الزواج في مقدمة أهدافه في الحياة. فهو يقبل على الدرس والتحصيل ويسعى ويكد حتى يكمل تعليمه الجامعي لكي يستطيع أن يشغل مركزاً ممتازاً في المجتمع الذي يعيش فيه هذا بالنسبة للشاب الجاد وليكون أيضاً جديراً بالفتاة التي تصورها في أحلامه، وتمنى كونها أصبحت له زوجة وشريكة لحياته. وقد يجدها سريعاً، وقد تمتد به الأعوام، وهو مازال يبحث عنها مثل هذا الرجل، سواء تزوج شاباً أم رجلاً في منتصف العمر، فمن المؤكد أن يكون زوجاً صالحاً وأباً كريماً، لأنه لم يتخل أبداً عن الهدف الذي حدده لنفسه في الحياة، وهو تكوين بيت وأسرة، يعطيها من وقته وحبه ورعايته كل ما أدخره لهما، طوال سني بحثه عن نصفه الحلو التائه وسط طرقات الحياة.

فالزواج هدف، وهو عند المرأة هدفها الأول والأخير في الحياة فليس هناك امرأة واحدة تستطيع أن تعيش بلا زواج.

إذن خلاصة القول أن الزواج عند المرأة هو هدفها الأول والأخير بينما الرجل فالحال يختلف فهو عند البعض هدف وغاية، بينما هو عند غيرهم مسألة يتحكم فيها القدر والصبر، وكثيراً ما يأتي الزواج مصادفة، ومع هذا يكون زواجا ناجحا إذا كان الرجل مستعداً له عاطفياً وأدبياً ومادياً ولكنه أيضاً كثيراً ما يفشل إذا لم يكن الرجل أهلاً لهذه التجربة الجديدة في حياته.. وأنه أهم عامل من العوامل التي تلعب دوراً رئيسياً في نجاح الرجل في تجربة الزواج هو أن يكون مهتماً اهتماما حقيقياً ببيته وزوجته وأطفاله، ويوم يشعر الرجل بأنه لا يحتمل أن يبتعد عن بيته ولا يطيق فراقه ويتلهف على العودة إلى البيت بعد انتهائه من عمله، وبعد الدقائق التي سيلتقي بعدها بأفراد أسرته، هؤلاء الذين أصبحوا أصدقاء، وحلفاء وشركاء له في حياته،

يوم يشعر الرجل بهذا الشعور، فهو قد نجح في تجربته وعرف كيف يسعد نفسه وبيته. ولكن هذا الزوج سوف يواجه تحديات إن هذه التحديات حقيقية وكثيرة وهي تتطلب من ثقابة الفكر وسعة الصدر والإدراك السليم الشيء الكثير هناك مثلاً هذه الإنسانة الرقيقة التي تعنى به وتسهر على راحته وترعى بيتها وأطفالها أنها تختلف عنه في كل شيء في تفكيرها وفي تكوينها الفسيولوجي وفي نظرتها إلى أمور الحياة. فإذا استطاع الرجل أن يدرك هذا كله وعرف كيف يعود نفسه على أن يتعلم ويعلم في الوقت نفسه وأن يتخلى عن كبريائه ويقبل طوعاً على مساعدة زوجته في شئون البيت ورعاية الأطفال، دون أن يجد في ذلك حرجاً أو انتقاصاً لكرامته فهو زوج ناجح استطاع أن يتغلب على بعض جوانب التحديات التي تواجهه في زواجه. لكن لابد أن يكون هناك خلافات في الزواج لأن الحياة بين الرجل وامرأته في البيت لا تخلو من الخلافات وهذه الخلافات في الزواج، هي بمثابة الملح في الطعام، وكما لا يمكن أن يطيب مذاق الطعام بغير الملح، كذلك لا يمكن أن تمضي الحياة الزوجية حلوة بغير تلك المنازعات والخلافات، بشرط ألا تتطور وتكبر بينهما لكن إذا عرف الزوج كيف يعالج مشاكل الأسرة في هدوء، وأن يشرك زوجته في كل القرارات التي تمس حياتهما، وأن يعبر عن مشاعره في وضوح وصراحة فإذا أسعده تصرف بدر من امرأته، لم يحاول إخفاء سعادته وإذا أغضبته ببادرة منها، عبر عن غضبه دون أن يكتمه ويحمله في صدره، إذا عرف الرجل أن يبقى على وسائل الاتصال الفكري والروحي بأفراد أسرته، وأن يكون مستعداً دائماً لأن يصفح وينسى فهو قد نجح مرة أخرى في التغلب على أكبر تحدي يهدد كيان الأسرة.. لأن المرأة إنسان حساس أي شيء يرضيها وأي شيء يجرحها، فإذا عرف الرجل كيف يعبر عن مشاعره تجاه امرأته، وكيف يظهر لها تقديره لدورها الكبير في حياته معها، ولا يفوته أن يثني على ذوقها، ويهمس

في أذنها بكلمات الإعجاب والإطراء من وقت لآخر فإذا أعجبه طبق الطعام الذي قدمته له على مائدة الغذاء سارع بشكرها على ما صنعت.

وإذا رآها تلبس فستاناً جديداً لم ينس أن يبدي إعجابه به، وإذا جاء يوم العيد قدم لها هدية جميلة، وإذا جاءت إليه تذكره بعيد زواجهما فاجأها هو بسهرة هادئة يقضيانها وحدهما بعيداً عن البيت والأطفال إذا عرف الرجل كيف يشعر زوجته بتقديره لها فهو قد نجح في تخليص زوجته من هذا الشعور الذي يصيب كل امرأة في بعض مراحل الزواج، بأن زوجها قد بدأ يهملها وينساها. لكن الجرح الدامي الذي يبقى دامياً في قلب المرأة فهو ذلك الذي يصيبها، إذا أحست يوماً أن زوجها ليس أميناً على حبه لها، وليس وفياً لهذا الرباط الذي جمع بينهما تحت سقف واحد فالمرأة لا تغفر أبداً لرجلها إذا شعرت، وشعور المرأة لا يكذب، بأنه يخونها، أو أنه بدأ يمل حياته معها. لهذا يعتبر هذا الموقف لإحساس المرأة من أعظم التحديات التي تواجه الرجل في زواجه على الإطلاق فإذا أدرك منذ اللحظة الأولى التي اختار فيها امرأته، أنه تزوج هذه الفتاة لأنه يحبها ولأنه يريد أن يبني أسرة وينشئ بيتاً سعيداً وإذا أدرك أنه لم يتزوج امرأة لكي تصبح له خادمة ومديرة لبيته ومربية لأطفال استطاع أن يشعرها بقيمتها عنده، وأن يثبت لها أنه على استعداد لأن يضحي بحياته من أجلها ومن أجل أطفالهما، بنفس القوة التي يريد بها أن يعيش من أجل إسعاد أسرته. لكن متى يكتمل الزواج؟ إذا عرف الرجل بعد ذلك، أن الحياة الزوجية لا تكتمل بهذا الحفل التقليدي الذي يقام احتفالاً بالزفاف، وإنما هو في الواقع يبدأ في هذا اليوم الذي يتم فيه عقد ذلك الرباط الذي يكبر معه الزوجان وينموان عاطفياً ومادياً وأدبياً ومع هذا النمو تزداد علاقتهما قوة وصلابة، حتى لا يكون نصيب هذا الزواج الموت، كما يموت كل شيء حي. إذا عرف الزوج أخيراً كل هذا استطاع أن يتغلب على كل التحديات تلك التي تواجه كل رجل في أعظم تجربة له في الحياة تجربة

الزواج. ومن أجل التغلب على هذه التحديات التي تواجه الحياة الزوجية تحتاج الحياة الزوجية إلى النضوج فقد جرت العادة إذا ما بلغ الشاب سن معين بدأ أهله يبحثون له عن عروس، كما أن هناك سناً معينة يحس ألا تبقى الفتاة بعدها بلا زواج، فالسن إذن هي التي تحدد موعد الزواج عندنا وفقاً للتقاليد والعرف والدين ومتوسط سن الزواج في مجتمعنا السعودي غالباً هو اثنان وعشرون أو أكثر قليلاً والفتاة ثمانية عشر أو أكثر قليلاً ولا شك أن الزواج المبكر نعمة، وخاصة في مجتمعنا المحافظ الذي لا يسمح بالاختلاط إلا بمقدار ولكن هل نجحنا حقاً في إسعاد قلوب شبابنا وفتياتنا؟ هل استطعنا أن نوفر لهم الحياة التي ينشدونها، ونحن نفرض عليهم الزواج في سن معينة لأنه لا يجوز لهم البقاء بعدها بلا زواج. لكن هل هذا النضوج يتطلب النضوج العقلي والعاطفي فقط، أما أن هناك سن معينة في الواقع ليس هناك سن يجب أن ينضج فيها كلاً من الشاب والفتاة فعلماء النفس يرون أن النضوج عند الشاب أو الشابة هو النضوج العقلي والنضوج العاطفي وليس للنضوج سن معينة، فكثير ما ينضج الشاب في سن مبكرة، فتراه يسلك سلوك الرجال ويتصرف تصرف العقلاء، وهو بعد لم يبلغ العشرين وكثير ما يتأخر النضوج فترى رجلاً في الأربعين أو الخمسين مازال يعاني من المراهقة فهو مراهق في تصرفاته ومراهق في تفكيره. والفتاة أيضاً قد تتخطى مرحلة المراهقة في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، فتراها وقد أصبحت امرأة ناضجة بلغت مبلغ النساء في كل تصرف يصدر عنها، فهي تفكر بعقل واع وتزن الأمور بتفكير سليم، وتعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات.

وقد تطول فترة المراهقة فنجدها ما زالت نفس الطفلة الصغيرة التي تبحث عن اللهو، وتبحث معه عن كلمات الإطراء من الجنس الآخر، لترضي بها غرورها وكبريائها، وقد تصبح مثل الفتاة زوجاً وأماً، ولكنها

تبقى بعيدة عن النضوج الذي ينشده كل رجل في امرأته، فالنضوج إذن هو العامل الذي يلعب الدور الرئيسي في حياة كل الزوجين والسعادة الزوجية تقاس بمدى ما حققه الزوج والزوجة من نضوج ونقف هنا قليلاً لنتساءل من هو الشاب الناضج؟ ومن هي الفتاة الناضجة؟

ويقول علماء النفس: إن النضوج في الزواج لابد أن يبدأ قبل الزواج، بمعنى أن الزواج لا يصنع النضوج والشاب لا يمكن أن ينضج في حياته الجديدة مع امرأته إلا إذا كان قد نضج بالفعل قبل الزواج وهكذا الفتاة أيضاً أن نضوجها قبل الزواج هو الذي يوفر لها الحياة السعيدة التي تنشدها كل امرأة في زواجها. والنضوج بمعناه العلمي هو مجموعة من الصفات التي يتحلى بها المرء، وتميزه عن أي شخص آخر غير ناضج فلابد للشخص الناضج رجلاً كان أم امرأة أن يعرف كيف يسيطر على عواطفه فلا يظهر انفعالاته بالأحداث التي تمر به، فور وقوعها، حتى لا يصدر عنه تصرف قد يوقعه في خطأ، وبالتالي يسيء إليه أو للآخرين، فعلاقة الشخص بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه، وتصرفاته إزاء الأشخاص الذين يلتقي بهم والمواقف التي تواجهه، هي التي تظهر مدى ما يتمتع به من نضوج عقلي وعاطفي. فإذا واجه موقفاً حرجاً معقداً، فلا يكفي أن يتصرف فيه بالطريقة التي تنقذه وحده من مثل هذا الموقف، ولكن يتحتم عليه أيضاً أن يضع في اعتباره علاقة الآخرين بهذه المشكلة ومدى تأثيرها عليهم، حتى لا يورط غيره فيها. وبلوغ النضوج العاطفي لا يتحقق إلا عن طريق المعرفة، وإلا عن طريق العلم، فإذا تعلم المرء كيف يبني علاقاته بالناس في هذا العالم الكبير المعقد وإذا تعلم كيف ينمي معلوماته ويرتقي بها وإذا عرف كيف يواجه مشاكل الحياة، ويبحث لها عن الحلول الصحيحة في ترو وحكمة، فهو قد بلغ من النضوج مرتبة تؤهله لخوض غمار الحياة العملية ومن هنا كانت أهمية النضوج في الزواج، ولكن الزواج عندما يتم لأسباب خاطئة، في

مقدمتها الاهتمام الزائد بمشكلة الجنس، دون النظر بعين الاعتبار لمدى استعداد الشباب أو الفتاة لهذه الحياة الجديدة.

والزواج في مجتمعنا السعودي يعد الشاب نفسه للزواج بعد أن يكمل تعليمه إن كان مواصل تعليمه، أما إذا لم يكن مواصل تعليمه فيحدده العمر من 22 سنة أو أكثر حسب الظروف الاجتماعية لهذا الشاب أو بعد التحاقه بالوظيفة وإعداد حياته، وتبدأ الأسرة للعريس بالبحث عن عروس والتي ستختارها أم العريس لابنها، بعد أن يكون قد أسر إليها بما يريده من صفات في زوجته المقبلة، وينتشر الخبر بين الأهل والأصدقاء ويتطوع البعض للاشتراك في عملية البحث وتستعرض الأم أسماء الفتيات في الأسرة بين الأقارب والمعارف ثم تستعرض المرشحات أنفسهن وتطول عملية البحث وتتعقد إلى أن يقع اختيار الأم في النهاية على الفتاة التي تريدها زوجة لابنها، فتعود لتزف إليه النبأ السعيد «لقد وجدتها».

فتاة رشيقة وجميلة قوامها مثل غصن ألبان، وفمها كخاتم سليمان عليه السلام ست بيت ومن أسرة محافظة ذات حسب ونسب. ويلتقي العروسان، وتبدأ الأفراح والليالي الملاح ثم يكون الزواج. ولا بأس من هذا كله فهذه تقاليد مجتمعنا المحافظ وكثيراً ما تنجح مثل هذه الزيجات ولكن ما أكثر ما تفشل أيضاً ذلك أن الأم لم تجعل نصب عينيها عند البحث إلا جمال الفتاة وإلا ما عندها من ثروة لم يخطر في بال أن تسأل عما بلغته هذه العروس المنتظرة من النضج النضج في الحياة أولاً، ثم النضج في حياة الزوجية. كذلك أهل العروس لم يفكروا على الأغلب لا في قدرة الزوج المنتظر على النفقة، لم يسألوا عن مقدار نضجه في الحياة عامة، وعن نضجه كما ذكرنا، النجاح في علاقات المرء بالآخرين وإما العروس الجديدة، ما هي إلا شخص جديد ستمارس الحياة الزوجية مع زوجها وإنشاء علاقات بينه وبينها. ولسنا هنا في صدد تعديد الأسباب التي تؤدي إلى فشل الحياة الزوجية، فهي أسباب

كثيرة ومتنوعة، ولكننا نستطيع أن نقول استناداً إلى النتائج التي توصل إليها الباحثون الاجتماعيون في أبحاثهم أن حالات الطلاق بين الزوجين الناضجين، لا تكاد تصل إلى نسبة تذكر لأن الزواج مسئولية والزواج تضحية والزواج كفاح من أجل بناء الأسرة والمجتمع فإذا كان الشاب على استعداد لأن يتحمل وحده مسئولية إعالة هذه الأسرة الجديدة التي سيتضاعف عدد أفرادها على مر السنين وإذا كان الشاب على استعداد للتضحية بجزء كبير من وقته في سبيل إسعاد هذه الأسرة. وإذا كان قادراً على المضي في الكفاح من أجل رفاهية أسرته إذا فهم الشاب هذه المعاني الكبيرة للزواج فهو قد بلغ من النضوج حداً يؤهله لأن يكون زوجا صالحاً. فالزواج ليس نزهة، كما يحلو للكثيرين أن يصفوه أو الزواج ليس عسلاً دائما كما يتصور بعض المتفائلين، كما أنه ليس طوقاً من حديد في رقبة الرجل وخاتماً من الماس في أصبع المرأة كما يصفه المتشائمون المتحيزون.

ليس الزواج بهذا ولا ذاك، وإنما الزواج صداقة وتعاون تسودهما روح من الحب والوفاء والإخلاص هو رحلة العمر التي يقوم بها الرجل مع المرأة التي اختارها وسط العواصف والأنوار ووسط زهور الربيع وسحابة أمطار الخريف بكل ما في الحياة من صحة ومرض ومن أفراح وغيرها شباب وشيخوخة ضيق وفرج.

إذا أدرك الشاب هذا كله، فهو رجل ناضج يعرف تماما أن حياته قبل الزواج تختلف اختلافاً بيناً عما يجب أن يكون عليه حياته على امرأته بعد الزواج فهو لن يكون حراً بعد اليوم في قضاء سهراته مع أصدقائه خارج البيت لأن هناك شريكاً له ينتظر عودته.

وهو لن يكون حراً في تصرفاته؛ لأن هناك شخصاً يهمه مصلحته، ولابد له من أن يشاركه الرأي في كل ما يتعلق بحاضره ومستقبله. لهذا لابد من الانسجام بين الزوجين وهذا الانسجام ضرورة ملحة ولكن ماذا تعني هذه

الكلمة الانسجام، إنها تعني معان كثيرة، ولكننا ضللنا الطريق في التوصـل إلى اكتشاف وسيلتنا إلى تحقيقه فهو شيء يتطلب جهداً ومثابرة، كأي عمـل آخر يقوم به، وتبذله في سبيل أدائه وإتقانه من وقتنا وأعصابنا ما يحقق لـه النجاح، إن الانسجام هو التآلف الفكري والروحي وما يتصل بهذا التآلف من عادات، وهوايات واهتمامات، تكون متباعدة متنافرة في البدايـة ولكنهـا لا تلبث أن تختلط وتمتزج وتتفاعل وتتقارب حتى تذوب وتنصهر فـي بوتقـة الحياة الجديدة تلك التي أصبحت تحوي عنصرين أساسيين، بعـد الـزواج، بحيث لا يمكن الفصل بينهما إلا إذا سمحنا بإدخال مادة جديدة غريبـة، قـد تتفاعل مع أحد العنصرين، فتعود لتفصل ما كان بينه وبين العنصر الآخـر من أين يبدأ الطريق إلى تحقيق الانسجام بين الرجل وامرأتـه ليبـدأ هـذا الطريق بالحديث والمناقشة فكيف يتحدث الرجل إلى امرأته وما يقـول لهـا وبماذا تجيب ومتى يتكلم ومتى تسكت وأخيراً كيف تتعلم «من الإنصـات» فالفتاة قبل الزواج تتعلم أشياء كثيرة تنصحها بها أمها، فهي تتعلم كيف تطهو لزوجها الأطباق اللذيذة، وتتعلم كيف تتودد إليه، وترمـي شـباكها حولـه، ولكنهم نادراً ما يعلمونها كيف تنصت إليه وتهتم بحديثه، بعد أن يقـع فـي الشباك التي نصبتها له، إذن وسيلة الإنصات وسيلة جيدة لكسب الزوج لـذا على الزوجة أن تعرف التأثير الذي يتركه اهتمامها بحديث زوجها، في نفسه لقضت حياتها كلها جالسة أمامه تستمع إليه. ولكن ليس معنى هذا أن تتحول المرأة إلى تمثال لا يتحرك ولا يتكلم، ولا يغضب، ولا يثور، لأنها لو فعلت لأصبحت خرساء. فالانفعال هو الدليل على وجود الحياة فما من امـرأة إلا وتشكو بأن زوجها لا يحدثها في أي موضوع أنه متعب دائمـاً وإن تحـدث فلكي ألبي له طلبا أو أحقق له رغبة، وليس معنى هذا أنه رجل كتوم قليـل الكلام لا يحب الحديث فهو محدث لبق، فتقول هذه السيدة: ليتكم ترونه وهو يجلس إلى أصدقائه ومعارفه وزائريه ليتكم تسمعونه وهو يحدثهم في أمـور الدنيا حديث العارف بأسرارها الخبير بمشاكلها وسبل الخلاص منها، تـرى

ما الذي يدفع الرجل إلى العزوف عن تبادل الحديث مع زوجته وإشراكها في كل ما يتصل بعمله وبمشاكله ومتاعبه وعلاقته بالناس.

لذا إن لدى الزوج مشاكله وهمومه ويحن إلى اللحظة التي يستطيع فيها أن يخرج ما في صدره من مشاكل وهموم، فيجلس إلى شخص يثق فيه ويرتاح إليه، ليحدثه ويتبادل معه الرأي فيما يشغل تفكيره ويقلق باله.

وهو قد يجد هذا الشخص في أبيه أو أمه أو في أخ كبير أو أستاذ يحمل له في قلبه الاحترام والتقدير ولكننا لا نلبث أن نجده قد استبدل بكل هؤلاء امرأته عندما يتزوج أو يصبح أبا لأسرة وهل هناك أقرب إلى الرجل من أم أطفاله وشريكة عمره، وكل زوجة تسعى إلى كسب صداقة رجلها وثقته، ولكن قليلات هن اللواتي يعرفن كيف يعثرن على ذلك المفتاح الصغير الذي يفتح لهن الطريق إلى قلبه وفكره، تلك هي المرأة العاقلة التي تدرك أنها إذا أرادت حقاً أن تعرف كل شيء عن زوجها، وعن عمله وعن مشاكله ومتاعبه، فلابد لها أن تتعلم أولاً كيف تنصت إليه وهو يحدثها، كيف تعطيه أذناً صاغية، عندما يبدأ في سرد الأسباب التي تسبب له هذا الضيق الذي يشعر به أو القلق الذي يحتويه ويسيطر عليه.

إنه يريد أن يحس أن الحياة كأنها قد توقفت من حوله عندما يتكلم يريد أن يشعر بأنه أمام إنسانة رقيقة متعاطفة تقدر ظروفه، وتفهم تماما أسباب قلقه، فلا تقاطعه أثناء الحديث ولا تبدي رأياً متسرعا ولا تشغل نفسها بشيء آخر قبل أن ينهي حديثه، حتى إذا ما انتهى تماماً من سرد قصته وأحست أن القلق ما زال يسيطر عليه، جلست تخفف عنه وتهون عليه، دون أن تبدي رأيا أو تقترح حلاً لمشكلته، قبل أن يطلب منها هو مثل هذه الحلول والآراء. وتجد الزوجة في المشكلة التي يحملها زوجها فوق رأسه وكتفيه، مشكلة بسيطة لا تستحق منه كل هذا القلق والتفكير، وقد تكون المشكلة خطيرة فعلاً فهي تتعلق بعمله ومستقبله المهم أنها يجب ألا تسخر منه إذا اكتشفت تفاهة

الأسباب التي تسبب لزوجها الضيق والقلق كما يجب ألا تجزع وتفـزع إذا أحست بخطورة مشكلته، فثقة زوجها بها تتوقف على قـدرتها فـي إخفـاء مشاعرها أو السيطرة على أعصابها وليس في هذا خداع، فهي لم تحاول أن تخدع زوجها عندما كتمت مشاعرها، وإنما حاولت فقط ألا تقلل من أهميـة الموضوع الذي يشغله أو تضاعف من خطورة المشكلة التي يواجهها، أمـا رأيها في الحالتين فهو قائم، ولكن ليس بالضرورة أن تجـاهر بـه بمجـرد الانتهاء من حديثه معها، كما أن الزوج لا يتوقع منها دائماً أن تبدي رأيـاً. لكن يمكن أن تزرع وتعيد الثقة لزوجها أن تبدي ابتسامة رقيقة أو قبلة حنون تضعها الزوجة على جبين زوجها يمكن أن تصنع المعجزات وبهذه الطريقة يمكن أن تعيد للزوج ثقته بنفسه، وتضاعف في الوقت نفسه من ثقته بزوجته وارتياحه لحديثه معها، ولا بأس بعد ذلك من أن تشـرح وجهـة نظرهـا، وتبسط رأيها في هدوء دون أن تفرض عليه هذا الرأي، أو تحاول أن تشعره بأنه الحل الوحيد لمشكلته ومن الأسباب التي تدفع الرجل إلى إخفاء متاعبـه وعدم إشراك زوجته في المشاكل التي تواجهه يرجع إلـى طبيعـة المـرأة نفسها، فهي بحكم وضعها الاجتماعي لا تزال في أغلب الأحيـان، مسـئولة عن تدبير شئون البيت والأطفال، فهي تقضي جانباً كبيراً من نهارها وحدها في البيت، بعد أن ينصرف الزوج إلى عمله، ويذهب الأطفال إلى مدرستهم، دون أن يكون هناك أحد تتحدث معه، أو تشكو إليه متاعبها، فللزوجة متاعب ومشاكل كثيرة تصادفها كل يوم وهي تقف وسط مملكتهـا الصـغيرة فـي محاولات دائبة لا تهدأ مع كل شيء يحتاج إلى ترتيب وتنظيم وتدبير.

ثم إن للزوجة مشاكل ومن أجل ذلك فهي تمضي نهارها تنتظر السـاعة التي يعود فيها زوجها إلى البيت، لأنها تجد فيه الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن تلجأ إليه في متاعبها، فتنطلق في حديث طويل عن مشاكلها مع الجيـران ومع الأطفال. ولكن الزوج متعب، إنه يريد أن يستريح بعد يوم شاق ملـئ

بالعمل، وهو قلق لأن هناك مشكلة تشغل تفكيره، وقد كان يتطلع إلى اللحظة التي يعود فيها إلى بيته ليستريح أو ليتحدث هو مع زوجته عن متاعبه.

وتكون النتيجة أحد الأمرين فإما أن ينفجر ثائراً، أو يلوذ بالصمت حتى ليبدو كما لو كان قد فقد القدرة على الحديث أو الإنصات من أجل هذا يجب على الزوجة أن تختار الوقت المناسب للحديث في مشاكلها هي. لكن هناك المرأة اللحوح التي تتوق إلى معرفة كل شيء عن زوجها وما صنعه بنفسه وبعمله، منذ اللحظة التي ترك فيها البيت في الصباح، حتى موعد عودته من العمل، فهي تقف أمامه تستجوبه وهو يخلع ملابسه، أو وهو يتناول طعامه على مائدة الغذاء، أو وهو راقد في فراشه محاولاً أن يجد بعض الراحة في إغفاءة قصيرة، أو حتى وهو يقرأ صحيفة أو ليستمتع بقراءة الكتاب الجديد الذي اشتراه. وقد يجد الزوج شيئاً يجيب به على أسئلة زوجته المتلاحقة، في بادئ الأمر ولكنه لا يلبث أن يمل الاستماع إلى أسئلتها، عندما لا يجد شيئاً جديداً يضيفه إلى ما قاله لها بالأمس وفي اليوم الذي سبقه، وفي الأسبوع الذي سبق وهكذا. وهناك من يضايق الزوج ويثير الضيق في نفسه أكثر من الروتين وخاصة إذا أحس أن امرأته تحولت إلى قاضي، قد يستعين في بعض الأحيان بشهود من أصدقائه وزملائه، لكي تصدر عليه حكمها في النهاية بالبراءة. إذا فشل في إقناعها بأن عمله هو الذي اضطره إلى التأخر عن موعد عودته إلى البيت. على أن أكثر ما يضايق الرجل، ويجعله يحجم عن الحديث إلى امرأته، هو شعوره بأنها لا تستطيع أن تكتم ما يبوح لها به سواء كان هذا السر يتصل بعمله أو بعلاقته مع زملائه وأصدقائه.

الخلاصة أن الانسجام في الحياة بين الزوجين لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تعلمت المرأة، كيف تنصت إلى حديث زوجها، وكيف تستمع إليه وإذا تعلمت المرأة كيف تحول بيتها إلى عش سعيد يلجأ إليه الزوج كلما شعر بمشكلة تقلقه وتشغل تفكيره، إذا عرفت كيف تجعله يحن إلى اللحظة التي

يلتقي فيها معها لكي يبثها أشجانه ومتاعبه، فهي تكــون قــد نجحــت فـــي استمرار انصهار وذوبان حياتهما في بوتقة الزواج.

10- زوجان تحت سقف واحد

هل شعرت يوماً أن زوجك مازال رجلاً غريباً عنك رغم السنوات الطويلة التي قضيتها معه؟ إنه شعور غريب يثير قلق المرأة وحيرتها. فهي تبدأ حياتها الزوجية متوقعة منهم طباع رجلها ومزاجه، ومحاولة مشاركته في تفكيره ومشاعره وهواياته ثم لا يلبث أن تكتشف أنه ما زال غريباً بعيداً عنها!

ولا شك أن كلا الطرفين، الرجل والمرأة، يبذل جهداً في محاولة تفهم طبيعة الطرف الآخر وربما كان هذا الجهد من بين الأسباب التي تضاعف من الشعور بخيبة الأمل عندما يأتي الرجل مثلاً يعمل، ويجاهر برأي في لحظة من لحظات الغضب، يجعل زوجته تشعر بأن هذا الزوج الذي أحبته، وأخلصت له وتفانت في خدمته، مازال لغزاً غامضاً، ولم تفلح محاولاتها في سبر أغواره رغم تلك الأعوام الطويلة التي قضياها معاً.

إذن لماذا هو غريب؟ فما هي إذن أسباب هذه الظاهرة التي يشكو منها بعض الأزواج والزوجات على السواء ثم ما هو العلاج لهذا الذي يراود المرأة في بعض الأحيان بأنها مازالت تعيش مع رجل غريب، رغم الرباط الذي جمع بينها وبينه تحت سقف واحد؟ لقد اهتم علماء النفس بدراسة هذه الظاهرة وبحث أسبابها، وخرجوا من دراساتهم وبحوثهم هذه ببعض النتائج التي قدمها الأزواج. وأثبت البحث أنه من بين الأسباب الأساسية التي تحول دون فهم المرأة لشريك حياتها، انشغاله عنها بمشاكل الحياة ومتاعبها فأسلوب الحياة العصرية وما يتطلبه من عمل متواصل من أجل توفير لقمة العيش، لم يترك للرجل فرصة لإعطاء أسرته ما تستحقه من وقت، وما

تحتاج إليه امرأته من رعاية واهتمام فقد أشبه ما يكون بآلة لا تكف عن الدوران إلا عندما ينفد منها الوقود، فتتوقف لتتزود به حتى تتمكن من السير والانطلاق من جديد. لكن قدر هذه الزوجة قد يكون تصورها عن زوجها خاطئاً وقد دلت الأبحاث أن عدداً كبيراً من النساء اللواتي تصورن أنهن يعرفن رجالهن، وقد أظهرن أنهن يجهلن أبسط شيء يمكن أن تعرفه المرأة عن زوجها. وكذلك الرجل فقد فشل بدوره تماماً في أن يفرق ما تحبه امرأته وبين ما لا تحبه، وذلك في اختبار بسيط أجراه الباحثون على عدد من الأزواج والزوجات. فقد جاءوا بخمسين رجلاً ودعوهم إلى متجر كبير امتلأ بالهدايا من حقائب للسيدات والحلي والمجوهرات والملابس إلى آخر ما هناك من الهدايا التي يقدمها الرجل عادة لزوجته في الأعياد والمناسبات وطلبوا إلى كل رجل من الرجال الخمسين أن يختار الهدية التي يعتقد أن زوجته تفضلها على غيرها وتسعد بها. لكن كانت خيبة الأمل للزوجات طبيعة الحال، إذ لم يستطع رجل واحد من الرجال الخمسين أن يختار الهدية التي كانت تتوقعها امرأته، فقد قالت كل واحدة منهن لزوجها إنها كانت تفضل لو أنه أهداها شيئاً آخر، راحت تذكره بحاجتها إليه ورغبتها في اقتنائه. وما حدث مع الأزواج، حدث للزوجات أيضاً فقد أدخلوهن محلاً تجارياً، امتلأ بالهدايا التي تقدم للرجال، ولم تنجح واحدة من النساء الخمسين أن تختار الهدية التي تُلاءم ذوق زوجها وليس معنى هذا بطبيعة الحال أن هؤلاء الأزواج قد فشلوا في حياتهم الزوجية، ولكن معناه أنهم أخطئوا فيما تصوروا من أنهم قد بذلوا جهداً كبيراً في التعرف على أذواق بعضهم البعض وقبولهم واتجاهاتهم وطريقة تفكيرهم منهم مازالوا أبعد ما يكونون عن هذا الفهم الذي نشدوه وتصوروا أنهم قد حققوه. لكن الحياة لا تخلو من مشاكل لماذا؟ لأن هناك كما ذكرنا، الكثير من أمور الحياة ومتاعبها، التي تستأثر باهتمام الرجل والمرأة على السواء. هي مشاكل تستغرق كل وقته أو وقتها، وتشغل كلاً منهما عن الآخر، حتى ليس الواحد منهما أن عليه واجباً

يؤديه نحو شريكه في هذه الحياة التي اجتمعا من أجل بنائها وازدهارها. هذا فضلاً عن تباين طبيعة تلك المشاكل التي تثير اهتمام كـل مـن الـزوجين فالرجل مثلاً يهتم بعمله ورزقه من أجل توفير حياة كريمة لأفـراد أسـرته، وهو في سبيل إنجاح هذا العمل ينفق الجانب الأكبر من وقته وجهده في رفع مستواه الفكري، والفني، فإذا كان رجلاً مهنياً قضى معظم أوقات فراغه في القراءة والاطلاع، وإذا كان عاملاً فنيا، راح يطلع على أحـدث الأسـاليب العلمية المتبعة في المصانع والشركات الأخرى التـي سـبقت مصـنعه أو شركته. وبالنسبة للمرأة فنجد أن مشاكل البيت والأطفال هي شغلها الشـاغل وهي تعطيها الأولوية دائماً سواء كانت ربة بيت أو عاملة فعلى عاتقها تقـع مسئولية تربية أطفالها وتنشئتهم تنشئة صالحة. وهذا التباين الواضـح فـي مشاغل الرجل والمرأة لا يتيح المجال للالتقاء والتقارب بين الزوجين وهـي العامل الأساسي الذي يساعد كلا من الطرفين على التعـرف علـى ميـول واتجاهات بعضهما. فاشتراك الزوجين في شيء أي شيء كأن تكون لهمـا هواية واحدة مثلا تشدهما وتجمعهما وتتيح لهما وقتا أطول يقضيانه معا، أو كانا يعملان في مهنة مشتركة يتبادلان الرأي فيها بعد انتهاء ساعات العمل، والعودة إلى البيت مثل هذه المشاركة تساعد كلا من الزوجين على التعـرف على شخصية الآخر، وطريقة تفكيره وأسلوب معالجته للأمور. كما تنمي في الوقت نفسه روح الصداقة والتعاون بين الرجل وامرأته. لكن من هم أسـعد الأزواج؟ وفي استفتاء أجراه الباحثون أثبت أن أسعد الأزواج هـم هـؤلاء الذين يعملون في ميدان واحد ويحبون الأعمال الواحـدة. فالطبيـب الـذي يتزوج طبيبة، أو المدرس الذي يتزوج مُدرسة أو فـي الأعمـال التجاريـة هؤلاء جميعا يجدون في زواجهم التعاون والصداقة والتفاهم التي ينشدها كل زوجين، ولكن تحول مشغوليات كل منهما في مجال عمله واختصاصه دون تحقيقها. وقد ظهر من الاستفتاء أيضا أن الأزواج في المجتمعات المحافظـة التي لا تزال تتمسك بالتقاليد أكثر لغة وانسـجاما معـا مـن الأزواج فـي

المجتمعات الحديثة ففي الأول يختار الرجل امرأته عادة من نفس المستوى الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي هو إليه، وقد يرتبط الاثنان في أحيان كثيرة برباط القرابة أو النسب، وهما دائماً على مذهب واحد وجنس واحد، ولا شك أن هذا التشابه بين الزوجين يساعد كثيراً على التقاء تفكيرهما ووجهات نظرهما ويقرب بينهما.

أما الزواج في المجتمعات الحديثة والغير محافظة فلم يعد يعترف بهذه التقاليد، فيتزوج من زوجة قد تختلف عنه في المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو الدين أو القبلي فيمكن أن يتزوج من أي مجتمع فقط أنه مفتون بجمالها ولا يهمه نسبها أو دينها، فالرجل يتزوج بالفتاة التي يلتقي بها ويحبها دون أن يهتم بأصلها وفصلها، أو دينها وجنسها، وربما تزوجا دون أن يكلف الرجل نفسه مشكلة البحث من أبويها والتعرف بهما وطلب يد ابنتهما. لكن تبرز هوة بين الزوجين وهذه الهوة التي لا يلبث أن يشعر الزوجان بها في تفكير وعادات واهتمامات كل منهما وربما كان هذا من الأسباب الأساسية لتعدد حوادث الطلاق عندهم، غير أن هناك أيضاً عوامل طبيعية تساهم هي الأخرى بصورة أساسية في اختلاف الرجل عن المرأة فالتركيب الفسيولوجي للرجل يختلف بطبيعة الحال عن المرأة، منها إذن يولدان مختلفين من الناحيتين الذهنية والجسمانية وهما بعد ذلك ينشأن غريبين في مجتمع خاص بهما وكل في حياة لا تتصل بحياة الآخر بصلة ثم يكون اللقاء عند النضوج أو ما قبله، ثم تكون الخطبة فالزواج.

وقد يتساءل البعض «ألم تكن فترة الخطبة كافية لأن يعرف كل منهما الآخر ويفهم طباعه»، والجواب بالنفي ففي هذه الفترة كثيرا ما يلبس العروسان قناعي المجاملة، وهي أقنعة تبقى ما بقيت الخطبة، حتى إذا تم الزواج، سقطت الأقنعة وتعرى كل من الزوجين، فظهرا على حقيقتهما بعد فترة طالت أم قصرت، ولعل هذا واقع في الأغلب، بعد شهر العسل أو شهر

الأحلام. ثم يتساءل السائلون «ألا تكفي تلك الساعات الطويلة التي يقضيها الرجل مع امرأته لإزالة الحواجز والتقريب بين أمزجتهما، وخلق نوع من الصداقة والتفاهم بينهما»، والمفروض أن يحقق هذا التفاهم بعد الزواج إذا أعطى كل من الزوجين لحياتهما الجديدة ما تستحقه من رعاية واهتمام، غير أن هناك مجموعة من المواقف التي تلعب دوراً هاماً في التقريب بين الزوجين، وتغذية النفور بينهما، فموقف عدم المبالاة، أو عدم احترام المشاعر من جانب أحد الزوجين تجاه الآخر، أو عدم الشعور بالمسئولية وإظهار عدم الاكتراث للأحداث التي تمر بالحياة اليومية مهما كانت صغيرة أو تافهة مثل هذه المواقف تترك أثرها في نفس الرجل أو امرأته. وتشعره أو تشعرها بضعف الرباط الذي يجمع بينهما، فالرجل الذي يعود إلى بيته مثلاً متعبا مرهقاً من عمله ووجهه كله ينطق بما صادفه من مشاكل في هذا اليوم، يتوقع من زوجته أن تلقاه بابتسامة رقيقة تخفف عنه متاعبه، ولكنه بدلاً من ذلك يجدها تتحدث إليه عن المشاكل التي صادفتها مع الأطفال والجيران ثم عن مواعيدها مع صديقاتها وزيارتها في المساء وكذلك الزوجة التي تقضي نهارها في عمل شاق ومتواصل في البيت، وتتوقع من زوجها أن يصطحبها في نزهة أو سهرة في المساء، فإذا به يترك البيت لأنه على موعد مع أحد أصدقائه، ولكن حتى القدرة على الإدراك للمشاعر والأحاسيس بعمق وإخلاص، ليست في حد ذاتها كافية للتقريب بين الزوجين فهناك لحظات يجد فيها الزوجان نفسيهما يواجهان مشاكل لا يستطيع كل ما في قلبيهما من إخلاص إيجاد حل لها. وقد يتفق الموقف في بعض الأحيان عندما يأتي أحد الزوجين بتصرف معين إزاء هذه المشكلة، يعتبره الطرف الأخر تصرفاً غريباً وشاذاً يثير دهشته ويصدمه في بعض الأحيان. والدهشة هنا ليس سببها شذوذاً واعوجاجاً كما تصور الطرف المصدوم، وإنما هي انفعال للتناقض الذي بدا واضحاً في موقف كل من الزوجين وطريقة معالجته للمشكلة التي صادفتهما، وقد لا يكون الطرف الأخر صاحب هذا

التصرف، أقل دهشة من صاحبه فالمسألة لا تعدو إذن أن تكون مجرد خلاف في الرأي، فلا يجب على الزوجين أن ينزعجا لمثل هذا الخلاف، طالما أن هدفهما في هذه الحياة هو معرفة كل شيء يتصل بتفكير كل منهما ومشاعره إزاء الآخر يجب ألا تدع لمثل هذه المفاجئات الغريبة لتعكير صفو الحياة الزوجية. لكن هناك مجالات عديدة يستطيع كل من الزوجين أن يسعى من خلالها إلى تضيق هوة الخلاف بينهما، والسبيل الوحيد هو الاستمرار في المحاولة لإيجاد نوع من الفهم المتبادل وبذل مجهود أكبر من أجل توضيح موقف كل منهما إزاء المشاكل التي تواجه الأسرة ثم شرح الأسباب التي أدت إلى اتخاذ مثل هذا الموقف، علماً أن هذا كله لن يتحقق إلا إذا أظهر كل من الزوجين عطفه على وجهة نظر الآخر ومشاعره ومنحه من حبه وإخلاصه ما يشعره بقربه إليه وتعلقه به هنا فقط يستطيع كل من الزوجين أن يحققا التفاهم المنشود مهما بعدت المسافة التي تفصل بينهما.

11- الزوجان يستحدثان بيتاً جديداً مكان بيت قديم وحباً طريفاً مكان حب تالد

عند السؤال عن ما هو مدى تأثير حب الوالدين لأبنائهم على حياة هؤلاء الأبناء عندما يكبرون ويتزوجون ويستقلون بحياتهم؟

كيف يجب أن يكون موقف الآباء من الأبناء، وموقف الأبناء من الآباء بعد الزواج؟ لقد كانت هذه الأسئلة وغيرها كثير من العوامل المؤثرة في حياة الأبناء بعد الزواج وربما تكون من الأسباب التي تؤدي إلى التوتر في الأسرة إذا كان حب الوالدين سلبي فإنه يعد سبباً للتوتر بين الزوجين وعلاقة الفتاة برجلها في مستهل حياتهما الزوجية فعوامل ارتباط الزوجين بحياة الأسرة التي ألفاها بين الوالدين والأشقاء وفشل الآباء في كثير من الأحيان في مساعدة أبنائهم على فك قيود هذا الرباط وتكييف حياتهما الجديدة ومحاولة بناء رابطة أخرى تقوم على أساس من الحب والتفاهم والاحترام المتبادل أن مسئولية الفشل في بناء أسرة جديدة لا تقع على عاتق الأبناء، بقدر ما تقع على عاتق الآباء وعلى الأم بصفة خاصة، تلك التي لا تريد أن تدرك حقائق الحياة، فهي تحب ابنها، ولا تريد لأحد أن ينافسها في حبها له. ناسية أو متناسية أن العجلة تدور، وهي في دورتها، لابد أن تحقق الاستمرار للحياة. لكن بعدما يستبد هذا الإحساس ببعض الأمهات، تتصور الأم أنها فقدت ابنها إلى الأبد وكم من أمهات إنهرن، وهن يشاهدن أبناءهن يخرجون من البيت لآخر مرة، ولا يعودون إليه إلا في الأعياد والمناسبات! مثل هذه الأم تقضي على نفسها وتقضي على أبنها، وتحكم على زواجه وحياته الجديدة مع عروسه بالإعدام حتى قبل أن يولد هذا الزواج. على أن

موقف أم الشاب، يختلف عن موقف أم الفتاة، فالثانية أكثــر مــيلاً وأكثــر استعداداً لمساعدة ابنتها على تكييف حياتها الجديدة وبناء أســرتها وإســعاد بيتها، وخاصة إذا كانت هي نفسها تنعم بحياة سعيدة مــع زوجهــا ووالــد أبنائها. والسبب في هذا الاختلاف الواضح بين موقف أم الزوج وأم الزوجة، هو أن الأولى تتصور كما قدمنا، أنها قد فقدت ولداً، بينما تشعر الثانية، بأنها كسبت ابناً كما كسبت ابنتها أخاً وزوجاً يرعاها ويحميها. علــى أن أخطــر محاولة استحواذ الأم على ابنها بعد الزواج، لا يقل عن خطر شــعور هــذا الابن بأن والديه وأخوته عن قصد أو عن غير قصد، قد تخلو عنه أو أنهــم كفوا عن الاهتمام به وأهملوه بعد الزواج فنجده في الحالة الأولى، قد نــزع إلى النفور من أمه التي لا تكف عن محاولاتها لاستعادته، بينما نجــده فــي الحالة الثانية، عاجزاً عن أن يكيف حياته الجديدة بعد أن ألمه ما أحس به من جفوة ليس لها ما يبررها، من جانب هؤلاء الذين أحبهم ونشأ بينهم وعــاش وسطهم، سني طفولته، وجانباً كبيراً من عمره في شبابه ورجولته. وتكــون النتيجة إذن أن يعجز هذا الشاب عن أن يكيف حياته ويعود نفسه على هــذا الأسلوب الجديد من الحياة التي لم يألفها فنجده قد بدأ يحن إلى الحيــاة التــي ألفها قديماً في بيت أسرته، وينفر من الحياة الجديدة، تلــك التــي اختارهــا لنفسه، ولم يفرضها عليه أحد وبذل في سبيل توفيرها كل غــال ورخــيص، فلما اكتملت وتحققت سارع إلى الهرب منها هرباً. وتفســير أســباب هــذه الظاهرة التي قد تنتاب بعض الشباب وهم بعد مــازالوا يقفــون علــى أول درجات سلم الحياة الزوجية وهذا ليس معنى أن مثل هذا الشاب قد بدأ يكــره حياته الجديدة مع زوجته، فهو يحب هذه الحياة ويحب زوجته! ولكن معنــاه أنه قد أصبح عبداً للعادة تلك التي ألفها في حياته بين والديه وإخوانه فأحبهم وأحبوه والحب نفسه عادة وكذلك الزواج فهو يصبح عادة ولكــن المشــكلة تكمن دائماً في البداية في تلك المحاولات الدائبة التي يجب ألا تتوقــف أبــداً للتخلص من عادة قديمة، والتعود على شيء جديد وحياة جديدة. فالرجل لابد

أن يختار الأسلوب الأنسب لحياته ومستقبله لأن العقل ليس وحده الموجه لتصرفاتنا ومسلكنا في الحياة، فهناك بجانب العقل العاطفة، وهي التي تتحكم في مشاعرنا وأحاسيسنا منذ أن نرى النور، حتى نودع الدنيا فنحن نحب ونكره، نفرح ونتألم نثور ونهدأ طبقاً لما تحركه فينا عواطفنا حقيقة قد يكون للعقل دور فيما يعترينا من انفعالات، ولكن العاطفة هي التي تحركنا، وهي الغالبة في توجيه تصرفاتنا إزاء الناس وإزاء ما يصادفنا في حياتنا من أحداث وتطورات إن أسمى وأعظم عاطفة في الوجود عاطفة الحب فالحب أعظم نعمة، هي أنه قد يصبح نقمة إذا تجاوز الحدود أو وصل إلى حد الإفراط في قلب المحب، فالأم التي تفرط في حب ابنها إلى حد تصورها بأنها قد أصبحت مالكة له، تقتل بيدها حب ابنها لها وكذلك الزوجة التي أعماها حبها لزوجها، فأصبحت تشك في كل تصرف يبدر منه، حتى لقد باتت تغار عليه من نفسها. إن الحب العاقل هو أساس كل عمل ناجح في الحياة وهو الحافز إلى كل محاولة يبذلها الرجل لتكييف نفسه، مهما اختلف أسلوب الحياة التي تعودها، ومهما تباينت صورها وأشكالها على مر السنين، إن الحب هو السبيل الوحيد لتخليص الإنسان من عبودية العادة وإذا لم تجد هذه الطاقة مخرجا لها تنطلق فيه إلى حيث يجب أن تستقر وتنمو وتكبر وتتطور، ثم تتحول مع الأيام، فلن يجد الرجل مجالاً لإسعاد نفسه، أو إسعاد من هم حوله من عرفهم وعرفوه، وعاش حياته وسطهم من الطفولة حتى النضوج ومن الرجولة حتى الشيخوخة مهما امتد به العمر فقلب الرجل لا يكف أبداً عن أن يخفق بالحب حتى آخر أيام حياته، لأن الحب ينمو ويتطور ويتحول ففي بدأ الحياة يركز الطفل حبه كله لنفسه فهو يبكي إذا جاع ويصرخ إذا تألم، ثم يكبر الطفل قليلا، يبدأ يحس بمن حوله فيعرف أمه التي ترضعه، وتقدم له الغذاء وتسهر على راحته أنها أقرب الناس إليه، وأكثرهم التصاقا به، ويبدأ حبه كله يتحول إليها إلى أمه.

وتكون هذه أول تجربة يمر بها الإنسان عندما يجد منطلقا لهذه العاطفة، دون إدراك منه فهو يرى وجها يبتسم له، وصدرا يحنو عليه ويدا تمتد إليه لتعاونه وتسانده، فيتشبث بها ولا يرضى بغيرها بديلا. ثم تمضي الحياة، ويكبر الطفل وتنمو معه عاطفة الحب وتكبر في قلبه. لقد وجدت لها متنفسا ومنطلقا أوسع مدى وأشمل فهو قد عرف أخوته فأحبهم، وهو قد عرف أباه فأحبه، وربما كان له أصدقاء صغار في هذه السنوات المبكرة من حياته. ويذهب الطفل إلى المدرسة، ثم إلى الجامعة وتتسع دائرة هذه العاطفة أكثر فأكثر، فنجده قد أحب زملاءه، وأحب أساتذته، وبدأ حبه يخرج إلى الدنيا الواسعة من حوله وهو في هذه الحالة قد تطور ونما، وأصبح حبا ناضجا وهكذا يتحول الحب الصغير الذي كان يخص الطفل أمه لوحدها، إلى حب للناس والأصدقاء والحياة وكل ما فيها من صور جميلة لكن أريد أن أقدم بعض النصائح خلاصة لهذا السرد عن الحب والعاطفة إلى كل شاب وكل فتاة ارتبطا بالزواج وشرعا معا في بناء حياة جديدة سعيدة، أقول إذا لم يستطيع الرجل أن يتخلص من القيود التي كانت تربط حبه بهذا الشريط الضيق الذي عرفه في طفولته، فهو رجل قد فشل في أن يقيم أية علاقات إنسانية في هذه الحياة. وكذلك الفتاة فهي لكي تكبر وتنمو وتشعر بالنضوج في حياتها الجديدة مع زوجها، فلابد لها من أن تعلم أن هذا النمو، يجب أن يبدأ أو ما يبدأ في عقلها وفي قلبها.

ثم إن على الوالدين واجبا إزاء الأبناء بعد الزواج أن دور الآباء لا ينتهي ويجب ألا ينتهي عند زواج أبنائهم ولكنه دور استشاري إذا شاء الأبناء أن يستعينوا به، قدمناه لهم وإذا شاءوا أن يعيشوا بدونه كان لهم ما أرادوا. ولكن علينا ألا نكف أبدا عن تشجيعهم ونصحهم ومعاونتهم على أن يتعودوا حياتهم الجديدة دون أن تحاول أن تفرض عليهم رأيا أو تشعرهم بأنهم مازالوا أطفالا. وليس هناك للحياة السعيدة، أجمل وأروع من الذي سجله أحد

الكتاب الاجتماعيين إذا قال «إنها محاولة دائبة لا تهدأ للبحث عن بديل لموضع الحب الأساسي وليس هناك بديل لحب الأبوين لأبنائهما، وحب الأبناء للوالدين، أعظم وأسمى من حب الزوجين بعضهما لبعض». بهذا الحب وحده، يستطيع الرجل أن يشرح لأمه معنى الحياة، وهو معنى غير غائب عن ذهنها فقد عرفته من قبل منذ سنوات بعيدة مضت عندما التقت بوالده وهو معنى يستطيع الزوجان في النهاية أن يستعيدا به أسرتيهما إذا أحسا أن أحداً لم يعد يهتم بهما كما تصورا لقد بدأت الخليقة بآدم وحواء وحدهما وستبقى المرأة والرجل وحدهما أساس الخلق مادامت هناك حياة.

12- المرأة بين السعادة والشقاء

الكثير من النساء قانعات بما قسم الله لهن بأن الله خلقهن إناثاً ويجد البعض من الرجال في هذه القناعة بأن المرأة المعاصرة سعيدة هانئة البال فهي تنعم بمثل ما ينعم به الرجل من مأكل ومسكن، وتحظى بما لا يحظى به رجل من حلي وزينة وملبس ويحيطها المجتمع بمزيد من احترامه ورعايته، بل إن المرأة في رأي البعض هي يقيناً أسعد حالاً من الرجل، تجني ثمرة ما يبذل هو من جهود وأتعاب دون أن تتكلف في سبيل ذلك عناء، وتفوز بقسط أوفر من الغنم دون أن تسهم فيه بنصيب في الغرم ولسنا نناقش ما يراه هذا البعض من الرجال ولكننا ننبه إلى أنهم لم يفرقوا بين قناعة المرأة بما هي فيه، وبين سعادتها وهناءتها به.

فهل المرأة اليوم سعيدة حقا بالذي هي فيه؟ وهل تتحقق سعادة الإنسان وراحة باله تبعاً لما يتوفر له من أسباب الكفاية والرخاء والتأنق، ولا شيء غير هذا. ثم إن دور المرأة في العمل بالمجتمع الإنساني حيث أفسح لها المجال للإسهام في البناء والمشاركة في حياته فكان عليها حينئذ مؤازرة الرجل في تأمين لقمة العيش وقد أتقنت في سبيل ذلك عدداً من الحرف والفنون وحذقتها واتسع وقتها آنذاك لتعاطي تلك الأعمال اتسعت لها أيام عزوبتها وكذلك الأيام التي جاءت بها سن اليأس بعد الأربعين من عمرها. ولم يحد من ممارستها لتلك الحرف والأعمال بعض الشيء سوى انشغالها بالحمل والولادة ورعاية أطفالها. إن العمل سعادة وتحقيق ذاتية وتصريف طاقات إنسانية أن الصلة بين عمل الإنسان وسعادته صلة وثيقة للغاية، تتجلى للمرء في اللحظة التي يكف فيها عن العمل لسبب من الأسباب،

فالعمل من حيث هو ممارسة وشكل وإنجازاً بصرف النظر عن أنه وسـيلة لطلب الرزق، مصدر هام من مصادر سعادة الإنسان. يعزى ذلك إلـى مـا يوطده العمل بل يولده في صاحبه من صفات وفضائل، أهمها ضبط الـنفس والثقة بها، واحترامها الناشئ عن ذلك والاعتماد عليها ويعـزى مـا يكفلـه العمل للإنسان من تحقيق ذاته وطاقاته الإنسانية لكيان فرد قائم لذاته وأيضـاً لجزء لا يتجزأ من المجتمع الإنساني الذي لا يستطيع العيش إلا فيـه هـذا بالإضافة إلى ما يترتب على العمل من صقل للمواهـب الإنسـانية العديـدة الأخرى التي لا تتولد، ثم لا تنمو إذا هي تولدت، إلا بممارسة العمـل بـين شتات الناس من الفطرة لا تتيح إن الرجل والمرأة لا يتسـاويان أبـداً وفقـاً للتركيبة الفسيولوجية للمرأة فمهما حاول الإنسان أن يتحرر وأن يتقدم ذلـك أن الرجل إلى اليوم وفي أي مجتمع هو السابق والمرأة هي اللاحق وكل ما تصنعه المرأة مربوط بحاجة الرجل تلك التي طلبهـا بـالأمس أو جـاز أن يطلبها اليوم أو غداً ولكن المرأة إزاء هذا الموقف في مسألة عدم التسـاوي يسبب للمرأة عقد نفسية كل امرأة، في تدرجها من الصبي إلى الشباب، إلـى الكهولة فالكثير من النساء يعانين من هذه العقدة التي تنتابهن فتلـك التـدرج تتصل بتلك الرابطة التي تربط الأنثى دائماً بالرجل فتجعل منهمـا صـورة أبدية، فيها الرجل عند رأس الحبل يمسك بزمامـه، وفيهـا المـرأة تمسـك بالطرف الآخر من الحبل، وهذا ما عبرنا به عن تصورنا لهذه الحالة وهـي سيطرة الجنس الذكري على الجنس الأنثوي، ومن الأسباب التي تحول دون سعادة المرأة، في أي بلد وعلى أي حال، ما يتحكم في قلبها من مخاوف وما يشوب تفكيرها من أوهام حيال الزواج، ولقد تبلغ هذه المخاوف والأوهام من الحدة ما قد يبرر تسميتها بالعقدة النفسية، تطغى على كيان المـرأة وتغلبهـا على أمرها. فالزواج هو مثلها الأعلى وهي فتاة عزباء تكاد لا تفكر في أي شيء غيره نهاراً وتكاد ألا تحلم إلا به ليلاً، حتى ليكاد ألا يسمح لها بالقيـام بأي عمل مُجدي يرضى الله أو يعود بالنفع والفائدة على سـائر العبـاد. إن

الزواج حدث عظيم في حياة الإنسان ذكراً كان أو أنثى. وهو من الخطـورة بما قد يجعله أهم حدث في حياة الفرد ولكنه ليس هو الحدث الوحيد في حياة المرء ولا يجوز بحال من الأحوال أن يستحوذ على شخصية الإنسان فيصبح مرضاً على نحو ما يبدو وعند بعض الفتيات العزباوات، تـراهن يحصـرن همهن واهتمامهن في طلبه أو بالجري في انتظار تلك الصدفة التي قد تنتهي بهن إليه. ففضلاً عن مشاعر القلق والخوف والحسرة التـي تمـلأ حيـاتهن بسببه تراهن لا يحفلن البتة بمواهب إنسانية دفينة في أنفسهن أو بما يجـري في العالم من حوادث وأحداث قد يكون لها أبعد الأثر في حيـاتهن. ونـذكر عنهن ذلك ونعذر، ذلك لأن المجتمع الذي تعيش فيه، وسيطر عليه الرجال، قد قصر وظيفتها الاجتماعية على الزواج وإنجاب الأطفال، وأصبحت مـع الأيام لا ترى قيمة من القيم الأخرى التي تعج بها حياة الإنسـان، حبسـت فكرها على الزواج فطمس معالم إنسانيتها ومواهبها أو كاد وفرض عليهـا العيش في معزل عن المجتمع الإنساني وعما يجري فيه من أحـداث وزرع في نفسها من مشاعر القلق والتوتر ما يكفي بحد ذاته لحرمانها راحة البـال. هذا النص ما عبر به الكثير من النساء في شرح أحوالهن، ومن العقد النفسية الأخرى التي تسبب عدم سعادة المرأة عقدة المرأة المطلقة أو المرأة العـانس هذه العقدة النفسية ليست أسوأ العقد التي تلم بحياة النسـاء أن هـذه العقـدة بصيصا من الأمل المقرون بالبهجة يجعلها أخف وطأة مـن عقـدة المـرأة المطلقة أو عقدة العانس من النساء أن ما تشيعه العقدة الأولى من قلق وتوتر في حياة الفتاة العزباء ليتضاءل ويتلاشى بالمقارنة مع ما ترسـخه الثانيـة والثالثة من خيبة أمل مريرة ووحشية وكآبة في حياة العانس والمطلقة مـن الإناث وإن كانت العقدة الأولى قد سلبت الفتاة العزباء فرصة تنمية كفايتهـا في سائر مدارج الحياة، فإن الثانية والثالثة ما يكفل للمرأة الحظ الأوفى مـن البؤس والتعاسة.

عقدة ثالثة تطارد المرأة وهي إحساسها بسيطرة الرجل عليها في كافة مراحل حياتها أنها تعتمد اعتماداً كليا على مشيئة الرجل وليس مشيئة الله ولا يسمح لها المجتمع الذي يسيطر عليه الرجل بممارسة إرادتها وحق اختيارها مما تباشر من أعمال أنها لا تملك حق اختيار قرينها وعليها الإذعان لما يتخذه لها أبوها أو أخوها في هذا الشأن من قرارات وهي تنجب الأطفال وتتحمل أعباء حملهم وولادتهم والعناية بهم، لا تجاوبا مع ميولها وإرادتها، وإنما نزولاً على رغبات الزوج ومشيئته في غالب الأحيان، وهي تعال في بيت أبيها أو زوجها ولا تسهم في إعالة هذا البيت، وذلك إلا بقدر ما يسمح لها بمثل هذا الإسهام إن أذن لها أبوها أو زوجها بالعمل في وظيفة في ذلك إلا لجني المال، ولا نجد لها في معظم الأحيان حق المبادرة أو المشاركة في إنفاق ما تجني ولا في اتخاذ ما قد يمس حياتها وحياة ذويها من قرارات قد تكتشف في نفسها موهبة أو تتحسس ميلاً إلى استكمال دراستها في الجامعات ولكنها لا تملك الحق في المعنى في هذا السبيل ولا تلبث أن تذعن لمشيئة أبيها أو أخيها أو زوجها فترضى بالصبر الذي قرر لها يلومها أبوها إذا فشل زواجها وقد تم بمشيئته لا بإرادتها، يلومها زوجها إن لم يقدم على طلاقها والتزوج من غيرها إذ هي لم تنجب الأطفال، وحتى ولو كان هو مصدر العقم فلا نزاع يلومها أيضاً ويقدم على الزواج من غيرها إذا هي لم تنجب له البنين بدلاً من البنات، ينظر الرجل إلى المرأة وكأنها مجرد وسيلة لاستكمال راحته، وواسطة لإرضاء أهوائه وغرائزه وهي الغاية لا الذريعة بقدر ما هي إنسان. تراه ينسى أو يتناسى الجوانب الأخرى الإنسانية في شخصيتها ولا يذكر إلا حسنها وجمالها ومدى ما تتيحه له من اللذة والسرور. فهو يقدم على الزواج منها في الغالب نظراً لفتنتها ولا يلبث أن يفقد جل اهتمامه بها أو كله، لدى فقدانها نضارتها في خريف حياتها من كيانها قد توارت الجوانب الإنسانية أو أخلت المجال للجانب البهيمي منها!! والحقيقة التي لا جدال فيها هي أن المرأة مخلوق بائس تعس، غلبة على أمر

الرجل أو المجتمع الذي يسيطر عليه الرجل فحال بينه وبين الأعمال والنشاطات والمقومات التي تمكن الإنسان من العيش كإنسان وحرمه بالتالي أسباب السعادة وراحة البال. هذه الرؤية نابعة من سيدات عبرن بها عن أحوالهن وليست من رؤيتي. والخلاصة هن يذكرن أن هناك عقد نفسية شتى تسبب لهن الشقاء والمعاناة من سيطرة العنصر الذكوري. ويستخلص القول أن الرجل فيه وحده الكاسب وكل كاسب مسيطر والمرأة فيه مخلوق ذليل وخادم غير مأجور، تشتري حنان الرجل بالعين الفاتنة والبسمة الساحرة إن وجدت هذا ما تقوله هذه السيدات ويؤمن به ولا يبالين إلا برضى بالذي ما يقولن ألف من الرجال. بالنسبة لي ككاتب أو ناقل هذه الأقوال لا أوافق على بعض ما ورد ففيه نوع من القول المتطرف وبعض من ما ورد من هذه النسوة وشعورهن بالظلم والاستعباد من قبل الرجل وهذا تصرف فيه جهل من الرجل وليس للإسلام دخل فيه لقد عنى الإسلام منهج الله للحياة الإنسانية بتصحيح النظرة إلى المرأة وبإقامة العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من حقائق الفطرة، وبتوضيح هذه العلاقة في كل فرع من فروعها النفسية والعملية، بحيث لا تضطرب ولا تتأرجح، ولا يكتنفها الغموض في زاوية من زواياها. وعني الإسلام ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية الإنسانية ليقضي على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾[1] وعني الإسلام أيضا ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من ناحية علاقتهما بربهما وجزائهما عنده، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ

(1) النساء، آية 1.

عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[1]وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2]

وعني الإسلام ببيان نوع الصلة بين شقي النفس الواحدة، وأهداف هذه الصلة المتنوعة، سواء ما يختص منها بالزوجين وما يختص بالمجتمع الإنساني كله.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم، آية: 21).

وبين الإسلام حق المرأة في أصل الملكية والكسب والميراث مع خصوصية كل منهما في بعض الفروع وذلك للقضاء على جميع النظريات والأنظمة الخاطئة التي كانت تحرم المرأة حقها هذا. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[3].

---

[1] آل عمران، آية 195.
[2] الأحزاب، آية 35.
[3] النساء، آية 32.

كما بين الإسلام نظام قيام الأسرة، ونظام التعامل بينهما في الأسرة، وحقوق كل منهما على الآخر، وحقوق الأطفال الناشئين ثمرة التقائهما كذلك.

فالعلاقة تبدأ زوجا بمهر ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

والمرأة في الإسلام لا تورث كالمتاع ولا تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها لتفتدي نفسها من أهل الزوج ولا تمسك بعد الطلاق ضرارا حتى تفتدي نفسها من الزوج كما كان الحال في الجاهلية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

وللرجل القوامة في البيت وعليه الإنفاق وله مزاولة حقوق القوامة في المحافظة على كيان الأسرة من التفكك في مهب النزوات العارضة، والمحافظة على العش الذي تتعلق به حقوق الأطفال، وحقوق المجتمع

---

[1] النساء، آية 24.

[2] النساء، آية 19،20.

البشري الذي يعتمد على مؤسسات الأسرة في نموه الاجتماعي ورقيه[1] يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[2].

وصفوة القول عن المرأة تلك الإنسانة العظيمة أنها الحضن الآمن النظيف الواعي المتخصص، لإنتاج صناعة البشر وهي أثمن وأغلى صناعة في هذه الأرض واعتبار الواجب لا اللذة هو عماد العلاقة بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج الشرعي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ (النساء، آية: 1).

---

(1) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة.

(2) النساء، آية 34.

13- الغيرة تدك مضاجع المرأة وتعكر صفائها

تتفوق الغيرة بلا نزاع كل ما سواها من أبواب العذاب العاطفي، التي مازال الواحد منها ينزل بالآخر، فهي تتميز على غيرها من حيث تواريها وتغلغلها في طيات اللاوعي الخفية وتضاهي ما عداها قدرة، لا على تدمير الغيور نفسه فحسب، ولكن على تدمير من يكون موضع غيرته أيضاً، فإن كانت الغيرة في ظاهرها نزعة ترمي إلى الاحتفاظ بحب الآخرين، فإنها في جوهرها أداة تنحرف بذلك الحب عادة وتحوله عن مجراه، إن هي لم تخنقه حنقاً وتأت عليه. والباعث على شعور المرء بالغيرة ليس الشخص الآخر، يحمله على الاكتواء بلهيبها تبعاً لمسلكه وتصرفاته. فقد أثبت طب النفس الحديث أن الغيرة تكاد تكون عديمة الصلة بالغير. فهي تعزى إلى فشل المرء وعجزه عن التكيف وحقائق الواقع. إنها تنبت في تربه ذلك الفشل وتعكس معالمه وخصائصه إذن الغيرة في الأصل ظاهرة طبيعية فليس منا من هو كامل التكيف. لذلك كنا جميعاً عرضة للشعور بالغيرة بقدر ما، وشعورنا بها من حين إلى آخر عادي طبيعي كشعورنا بالغضب والارتياح والحب والبغضاء وما إلى ذلك من مشاعر مألوفة. ومن الناس من لا تظهر عليهم مشاعر الغيرة، وفي هؤلاء يقول علماء النفس: «يسهل الحكم على كل من لا يظهر عليه مشاعر الغيرة بأن الكبت الخانق هو الذي يحجبها ويحول دون ظهورها بحيث يتسع لها المجال لمزيد من التأثير على حياة ذلك الفرد بتأثيرها على الجانب الباطن (اللاواعي) من حياته الفعلية» والغريب أن الغيرة غالباً ما تلبس علينا وتدفع بنا إلى الظن بأنها شيء آخر غير هام ويزيد هذا الالتباس بقدر ما تكون بالغة الحدة عميقة الجذور. لذلك كانت المهمة الشاقة في معالجة الغيرة هي في الخروج بها من طيات الباطن

(اللاواعي) في نفس صاحبها إلى منافذ الوعي وإخضاعها بالتالي لنور العقل والتفكير وفطرة المنطق السليم. ولعل ما يزيد هذه المهمة صعوبة ومشقة هو ما تنطوي عليه الغيرة من شعور صاحبها بعدم أهليته للظفر بما يحرص عليه من حب الغير وإعجابه. فبدلاً من الاعتراف بالغيرة بصراحة وبساطة، تذهب الزوجة الغيور، على سبيل المثال، إلى استفزاز زوجها وتصيد أخطائه، كما قد يذهب الزوج الغيور أيضاً إلى توبيخ في تربية الأطفال. وما هذا التوبيخ وذلك الاستفزاز إلا بمثابة التنفيس عن مشاعر الغيرة. لذلك فإن الغيرة تتقنع أقنعة شيء فقد تتحجب الغيرة بأقنعة كثيرة مختلفة فيلتبس أمرها وتنطمس معالمها إلا أن هذه الأقنعة لا تغير من طبيعة الغيرة القاتلة شيئاً، فهي سم في جوهرها ولا ريب. تنزع أولاً إلى الحفاظ على الحب، وإذا بها تقضي على الثقة، وتنتهي آخر الأمر بغرس بذور الكراهية والبغضاء، فقد يعمد المرء أحياناً إلى الإقرار بغيرة يشعر بها من إهانة وأذى، كأن تكون زوجته، أعلا مستوى في التعليم منه وكذلك بنظر لأن مرتب زوجته الشهري بلغ ضعف المرتب الذي يتقاضاه. وفي ذلك ما فيه من طعن لكبريائه كرجل. إلا أنه لا يجرؤ على مجابهة شعوره بالغيرة، فضلاً عن الاعتراف بها علانية كخطوة أولى في سبيل تخطيها والتخلص منها وهو غير قادر أيضاً على إخمادها أو كبتها لذلك كانت الغيرة ذريعته ومتنفسه. وتعزى الغيرة في الحياة الزوجية في الغالب إلى المنافسة التي تنشأ بين الزوج وزوجته فيما يتصل بالأطفال. فقد يشعر الزوج بالنفور من أطفاله الذين حرموه من بعض ما كان ينعم به من عواطف زوجته. وقد لا يجد متنفساً لنفوره هذا إلا بتأنيب الأطفال الأبرياء وضربهم. شأنه في ذلك شأن الزوجة التي قد تعمد إلى تصرف مماثل في ظروف ولأسباب مماثلة. وقد تؤدي بالحماة غيرتها من زوجة ابنها إلى إدعاء مرض عضال في القلب أو غير القلب استمراراً للعطف، كما قد تدفعها الغيرة أيضاً إلى لوم ابنها وتوبيخه بقصد اجتذاب المزيد من اهتمامه وعنايته.

لكن السؤال المطروح ما هي مظاهر الغيرة ودوافعها بين الزوج وزوجته؟ من المعتقدات الشائعة أن الغيرة إنما هي مظهر من مظاهر الحب القوي الجامح. ولعل الأصح من ذلك أن يقال بأن الحب لا يستطيع الصمود في وجه الغيرة والخلاص من سمومها ما لم يكن قوياً راسخاً. فالغيرة تنبع جزئياً من الشعور بالاحتقار، وتعبر بالتالي عن شعور الرجل الفطري بأن المرأة مخلوق ضعيف وغير جدير بالثقة، كما تعبر عن شعور المرأة الراسخ بأن الرجل مفطور على الخيانة والقسوة. على أن مشاعر الغيرة العابرة شائعة في الكثيرين من الناس. قد تأتي نتيجة لمرض يلم بزيد أو إرهاق أو حادث مفجع يتعرض له عمرو. وقد تزداد ريبة الزوجة في زوجها مثلاً قبيل الدورة الشهرية، كما قد تكون غيرة الزوج مظهراً من مظاهر قلقه على وظيفته ومستقبله. والعامل الواحد المشترك في كل هذه الحالات هو الشعور بمزيد من حاجة المرء إلى من يحب وبمزيد من اعتماده عليه نظراً لشعوره بالحاجة إلى العون في هذه الظروف. وتبعث هذه الحاجة بدورها على الشعور بالجميل لما قد يحظى به الواحد من عطاء الآخر واهتمامه. ولكنها تبعث أيضاً على الشعور بالقلق خشية الحرمان من ذلك العطاء وذلك الاهتمام. والغريب أنها قد تبعث فوق هذا وذلك الشعور بشيء من الضغينة والاحتقار نظراً للقدرة على العطاء والحرمان على السواء. لذلك كان من أبرز خصائص الغيور تصور الأنفس والأمثل فيمن يحب، وتوقع الأسواء منه في آن معاً. وثمة حالات تكون للشك والريبة فيها مبرر وأساس وعلى إمكان حدوث مثل هذه الحالات في الحياة الزوجية التي يكون الزوجان فيها على غاية من الانسجام فيما بينهما وبالنسبة إلى واقع الحياة، إلا أنها لا تحدث كثيراً على كل حال وغالباً ما يكون مردها إلى وهم يسيطر على أحد الزوجين ويخدعه، وغالباً أيضاً ما يتعرض لمثل هذه الأوهام من يشكون مرض العُصاب من الأزواج ولا مفر لذوي الأعصاب المتوترة من الشعور بجراح نفسية تجنح بهم إلى تصيد الخيانة في أقرانهم، وافتعالها

وتوهمها إذا لم يجدوها فعلاً. ثم نجد أن هناك غيرة منشأها من الطفولة وهم الأطفال الذين نشأوا على الشعور بعدم الاستقرار وبالحرمان من العطف والحنان يكونون أكثر عرضة للغيرة في رجولتهم من أولئك الذين أحيطوا بالمحبة من كل جانب ثم إن التعامل بالتسامح والتفهم من جانب الآباء في تربيتهم لأطفالهم من شأنه أن يجد كثيراً من استعداد أولئك الأطفال للشعور بالغيرة في مستقبلهم. أما ضرب الأطفال أو تأنيبهم بسبب ما يظهرون من الغيرة من إخوانهم أو أخواتهم أو أقرانهم فلا يؤدي إلا إلى تنمية الشعور بالإثم فيهم وهناك صنوف للغيرة بحيث يمكن تصنيف الغيرة في خمسة أنواع إذا تسنى لنا النظر إليها مجردة من سائر الحجب والأقنعة التي تخفيها عنا وتطمس معالمها.

فمثلاً غيرة الاستحواذ وتعزى هذه الغيرة إلى الطفولة، وخاصة إلى خوف الطفل من يحظى غيره بعطف أمه وحنانها ويذهب علماء النفس إلى أن الذكور من صغار الأطفال يعانون الشعور بمنافسة آبائهم لهم على محبة أمهاتهم، كما تعاني الإناث منهم منافسة الأمهات على حب الآباء، والذكور والإناث من أولئك الأطفال يمقتون المولود الجديد باعتباره شريكاً لهم في محبة الآباء. تلك هي أولى مظاهر المثلث الأزلي الذي يلازم حياة الإنسان في سائر مراحلها فما من علاقة إنسانية تجمع بين ثلاثة من الناس إلا وتشوبها المنافسة بين اثنين منهم للظفر بحب الثالث واهتمامه ولعل هذه النزعة هي أبسط مظاهر الغيرة. ولا خطورة في هذه المشاعر إلا في بقائها واستمرارها إلى ما بعد الزواج. ومهما يكن من أمر فقد ثبت للأطباء النفسانيين الارتباط الوثيق بين غيرة الاستحواذ في الكبار وبين مخاوف الطفولة، وخاصة خوف الطفل من أن يتخلى عنه الآخرين. ومن صنوف الغيرة أيضاً الغيرة الفاضحة المفتعلة قالت الزوجة الشابة لطبيبها النفساني «يتصل بي زوجي بالهاتف من مقر عمله مراراً وتكراراً. ويعمد إلى

استجوابي في المساء عما فعلته طيلة النهار وإذا ما أخبرتـه عـن زيـارة التزمت القيام بها لإحدى صديقاتي في المساء حال بيني وبين تلك الزيـارة بطريقة ما. ولا يفوته أبداً أن يغري الخادمة على مراقبة حركاتي وسـكناتي أثناء غيابه في العمل أو عندما يكون خارج المدينة التي أعيش بها».

فالزوج إذن غيور وإلى حد لا يوصف، في نظر الزوجة الشابة، ولكنـه غيور من حيث لا يدري هو، أما غيرته هذه فقد لا تعـدو كونهـا انعكاسـاً مفتعلاً لمشاعر زوجته الملتوية بالغرور والحسَـد والإثـم مجتمعـة. فهـي تصوره لطبيبها لا كما هو دائماً كما تريده هي أن يكون. أما الصنف الثالث من الغيرة هي غيرة الكتمان وتعزى شكوك الغيور وريبته أحياناً إلى رسوخ عدم الثقة في النفس. يتضح ذلك فيما أفضت به زوجة غيور إلـى طبيبهـا النفساني إذ قالت: «يؤكد زوجي دائماً أنه يحبني إلا أنه كاذب لا محالـة، إذ لا يعقل أن يقع رجل وسيم وذكي مثله في حـب امـرأة بليـدة وبغيضـة مثلي..».

ويرى الأطباء أن معظم الغيورين من الناس يعانون مثل الشعور البغيض وعدم الثقة في أعماقهم هذا بالرغم مما يحاولونه من تمويه في هذا الصـدد بالتظاهر بالكبرياء الجوفاء والأنانية البالغة. وقد يدفع بهم حرصـهم علـى كتمان سرهم إلى الغيرة الشديدة التي تبلغ حد العنف والعدوان. باعثهم علـى ذلك الرغبة في الهجوم كوسيلة للدفاع والحرص علـى اكتشـاف مـواطن الضعف في الغير قبل أن يكتشف الغير مواطن البغض والصغار منهم.

الصنف الرابع من صنوف الغيرة هي الغيرة الملتوية حيث يعمد بعـض الغيورين من الناس إلى تشجيع أقرانهم على تـوفير المبـررات والـذرائع بشكوكهم وظنونهم ويتجلى هذا النوع من الغيرة المرضية في الحديث التالي الذي أفضت به زوجة مضطربة إلى طبيبها النفسي تقـول هـذه الزوجـة المضطربة: «تكاد تبلغ غيرة زوجي إلى حد الجنون حيث وصل به الأمـر

إلى أتهامي بأن لدي علاقة مريبة مع شخص ويصل الحد أن يطلب مني دعوة هذا الشخص إلى منزلنا وأن يتركني معه في خلوة معه» مثل ذلك يقال في المرأة التي تعاني غيرة ملتوية كالتي عاناها الزوج في المثل السابق وأشار بعض الأطباء النفسانيين أن هناك من الغيرة المرضية ما يطلق عليها غيرة الهذاء وغيرتهم هذه إن هي إلا مظهر من مظاهر هذا المرض العقلي الذي يعانون، والذي لا سبيل إلى تفاديه إلا بالمعالجة الطبية المتصلة حيث يجنح المصاب بهذا المرض إلى الاشتباه وإساءة الظن في كل ما يصادفه من ألفاظ العطف وبوادره يكاد يعتبر الناس جميعاً بمثابة أعداء له، إلا أنه يحرص على أخفاء شعوره بالعدوان تحت ستار من اللطف والحياد السلبي في المعاملة هذا إذا لم يكن من النوع العنيف الذي لا يتردد صاحبه في اتهام الآخرين جميعاً بأنهم يتربصون به الدوائر وذلك جهراً وعلى رؤوس الأشهاد.

والمبدأ الذي يفترضه المصابون بهذا المرض هو أن الناس جميعاً مذنبون حتى تثبت براءتهم ولكنهم يأبون الاعتراف بأنهم قد يكونون في افتراضهم هذا المبدأ مخطئون وسرعان ما يثيرون الخلاف الشخصي بينهم وبين الآخرين لدى عثورهم على أبسط بوادر الاختلاف في الرأي معهم. فما لم يكن الآخرين من محبيه ومؤيديه اعتبره من خصومه وأعدائه اللدودين.

لكن لا يعني أن كل الغيرة شر لكن هناك غيرة تعبر عن مشاعر طبيعية ومألوفة ففي عقيدتنا الإسلامية الغيرة على المحارم وأمر المرأة بالحشمة وعدم التبرج وذلك منعا للفتنة وأن الشخص الذي لا يغار على محارمه هو شخص ديوث وهذه الغيرة الطبيعية من تعاليم الدين وهي الغيرة المطلوبة وهي غيرة تحمي المرأة من الأشرار والفاسقين من الاعتداء على طهارة وشرف المرأة وجرها إلى الفساد.

كيفية معالجة الغيرة الغير طبيعية والضارة والمرضية:

لا جدال في أن الغيرة تزداد قوة وتفاقماً بالسكوت عليها وعدم الجهر بها.

فمثلا أنتِ، أيتها الزوجة، لم لا تناقشين زوجك في أمر هـذه الغيـرة إذا ظهرت مشكلة من مشاكل حياتك الزوجية؟ قد تكونين أنتِ السبب في إحجام زوجك عن مصارحتك بالحقيقة، إذا لم يكن لغيرتكم أساس حقيقي أو مبرر؟

وأنتَ أيها الزوج، هل أنتَ من أولئك الرجـال الـذين يتهكمـون مـن زوجاتهم إذا ما رغبن في محادثتهم عما يقض مضجعهن من مشاعر الغيرة حتى لو كانت تلك المشاعر وهمية وخيالية. إن أول ما يجدر بالغيور فعلـه في سبيل الخلاص عن غيرته، هو الإعلان عن شكوكه الخفيـة والإعـراب عن ريبته في صراحة، قد يشوبها الغضب. يستطيع بعد ذلك التأمل والتفكير فيها إذا كانت بواعث غيرته بوادر فعلية في تصرفات زوجته أو كانت مـن نسيج خياله.

ومن ثم يستطيع استعراض تلك البوادر إذا ثبت له وجودها أصلا، كمـا يستطيع التحقق في مدى اتصال الغيرة بهذه البادرة أو تلك وعلى الغيور قبل الدخول في مرحلة التحقق هذه أن يتثبت من أن معاملـة زوجتـه للأطفـال ليست الباعث الدفين على شعوره بالغيرة. وأهم ما في الأمـر هـو التـزام جانب الجد في الحديث مع الزوج أو الزوجة الغيور حول موضوع غيرتـه. عليهما أن يتجنبا التهكم واللامبالاة وكل ما من شأنه إثارة الشعور بـالغيرة، عليه أيضاً أن يتحاشى تضييق الخناق على الغيور في حديثه معه أو معهـا وتفادي حمله على الدفاع عن نفسه لمجرد الدفاع عن النفس وبدلاً من انتظار مبادرة الغيور إلى المصارحة أو الثورة في هذا الصدد، ينبغي للزوج الآخر الأخذ بزمام المبادرة والعمل على تهيئة الجو على نحو قد يسـاعد الغيـور على الاعتراف بغيرته. لا ريب في أن مثل هذه المجابهة للموضـوع دليـل

على قوة الشخصية في الإنسان، فضلا عن أنها السبيل المؤكد إلى المزيد من سعادة الزوجين.

إن الغيرة بشتى أنواعها لا تعدو كونها شعورا مرده إلى العاطفة لا إلى العقل، وإن سلاحها الوحيد إنما هو الشك في الإخلاص والريبة في الوفاء. وقد لا تكون هذه الشكوك قائمة على أساس من الواقع، وحينئذ تكون الغيرة وهمية تهز أركان الحياة الزوجية بلا مبرر أبداً وقد تكون تلك الشكوك وجيهة ولها ما يبررها في تصرفات الآخر. وحينئذ لا تعمل الغيرة إلا على تعقيد المشاكل وتفاقمها إذ لا سبيل مطلقاً إلى حل تلك المشاكل بالغيرة. هذه هي الغيرة المدمرة التي يجب إيجاد العلاج لها وعدم السكوت عنها حتى لا تزداد قوة وتتفاقم، لكن هناك من الغيرة من الرجل على زوجته وهي غيرة حميدة مثل جعل هذه الزوجة أن تستتر وتحافظ على عفتها وعدم اختلاطها بالرجال الأجانب هذه غيرة من أجل حمايتها وصون كرامتها وهذه ليست غيرة مرضية بل هي غيرة سوية، أما الغيرة المرضية أو ما يطلق عليها الوسواس والشكوك الذي يصيب الرجال فهذا يجب محاربتها والقضاء عليها لأنها تدمر الحياة الأسرية ثم إن على الزوجة صون عرض زوجها بأن تكون الزوجة الذي إذا نظر إليها سرته، وإذا خرج من بيته الأمينة على عرضه وماله ثم إن الزوج أيضاً عليه واجبات أن يصون قدسية الحياة الزوجية وأن لا يكون في حياته وتفكيره إلا زوجته فهو الصادق الأمين يحافظ على شرفه وعرضه نزيهاً طاهرا يخاف الله في السر والعلن.

14- اضطراب المفاهيم في قضايا المرأة

تحتل القضايا المسماة بقضية المرأة حيزاً كبيراً من تفكيرنا وجهدنا ونشاطاتنا الثقافية والاجتماعية، والمرأة بالنسبة للشاب هي الأم والأخت، والبنت والزوجة، وقد نشأ الشاب ورأى المرأة ملتزمة بتعاليم دينها، وتقاليد مجتمعها قبل أن تتعرض المجتمعات للمتغيرات التي تعرض لها في ظل الحضارة المعاصرة بعطائها وإنتاجها، والتقدم العلمي والتقني الذي غير أنماط الحياة ووسائلها، وأدوات الحضارة ومتطلباتها.

ويقتضي الإنصاف أن نقرر أن لكل إنسان الحق في مناقشة قضية المرأة، ولكن ليس لأحد الحق أن يناقش القضية خارج الأطر العلمية التي تعطي المناقشة قيمة، وتجعل لها هدفاً، وتنطلق من المسلمات الأساسية التي تعالج من خلالها القضايا الاجتماعية، وفق ثقافة الأمة ومكوناتها الأصلية، وأهدافها في الحياة أن كثيراً من الناس يريدون من المرأة أن تكون مقلدة للمرأة الأوروبية التي اضطهدت الحضارة المادية ذاتيتها وإنسانيتها، وجعلتها وسيلة للدعاية الإعلامية، وأفلام الجنس الشاذة، فإذا كانت المرأة هناك مضطرة للعمل لتعيش، فليست هذه قضية النساء في الدنيا كلها، ثم إن الدعوة إلى الحرية والمساواة والحقوق والاختلاط كلها دعوات غامضة لتباين أهداف المنادين بذلك والمناصرين لها ولعل بحوث المؤتمرات التي تعالج قضايا المرأة تكشف عن التناقض بين الآراء وسطحية المعالجات القائمة على الحماس والاندفاع، والأفكار النظرية إن الشاب في حيرة مما يراد بالمرأة عما هو مطلوب منها هل هو مع السفور الذي ينافي طبيعة تكوينه وتزيينه، أم مع الحجاب الذي يصمه بالشرقية والتخلف؟ أهو مع

الاختلاط الذي يعيش فيه خارج بلده، أم مع المشاركة العادية التي نشأ عليها؟ أهو مع الزواج المبكر لتحصين نفسه أم مع الهوى والشهوة المحرمة؟ هل مكان المرأة في البيت أم في المكاتب والأندية؟ هذه الأسئلة كلها وغيرها تجعل الشاب يعيش في حيرة واضطراب وتمزق وتشرد.

إن القضية لا تدعو أن تكون مرتبطة بالأهواء المختلفة، والتقليد الأعمى، والاستجابة لاستفزاز كلمات التخلف والتقدم والرجعية والتقدمية، وهي لا تعدو أن تكون مراهقة فكرية تطول مع بعضهم وتعشش في أذهانهم وعقولهم حتى تكون قضيتهم الأولى في الحياة وجيها وهمهم الأبدي فيها أن الدعوة إلى جعل المرأة قضية تأخذ صورة القضايا الأزلية الثانية مرتبطة بتاريخ البلاد الإسلامية ومرتبطة بالغزو الحضاري والفكري للقيم والثوابت في المجتمعات الإسلامية[1].

والمرأة في ضوء الإسلام هي معززة ومكرمة، ففي بداية حياتها تكون بنتاً صغيرة تعيش في كنف أسرتها (أبيها وأمها) يريدانها على الفضيلة ويصونانها حتى يختاران لها زوجاً صالحاً يحافظ عليها ثم تعيش في كنف زوجها بكل كرامة راعية وحارسة على بيت مال وعرض زوجها، فهي سيدة الأسرة وأم تنجب الذرية وتملأ بيت الزوجية سعادة فهي الزوجة الودود والولود، وعندما تكبر تصبح أماً وجدة الجميع يحترمها ويقدرها ويتشرف بخدمتها. والمرأة في الإسلام لها دور في الحياة فهذه خديجة رضي الله عنها كانت تعمل بالتجارة وعائشة رضي الله عنها روت نصف الأحاديث النبوية الشريفة والكثير من أمهات المؤمنين ساهمن في الحرب والسلم. إن موقف الإسلام من المرأة والرجل في مجال الوظائف الحياتية والتكاليف الدينية والمسئوليات الاجتماعية والتربوية والمشاركة في بناء الحياة وإثرائها وتطويرها في نطاق قوانين الفطرة ومقاصدها ومطالب التمدن وأسبابه،

[1] عباس محجوب، مشكلات الشباب.

وبحوث علم الأحياء ونتائجه، أمر هام في توضيح الرؤية وإزالة التناقض والبلبلة. وهذا يقتضي أن تكون دراسة علم الأحياء في المنهج التعليمي مرتبطة بمفاهيم الإسلام في الاختلاف الوظيفي بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي والهيكلي أن القدرة الإلهية والعناية الربانية قد كونت كلا من الرجل والمرأة تكويناً يختلف عن الآخر، فمن الناحية الجسمانية جعلت هيكل المرأة العظمي دقيقاً خفيفاً، وجمجمتها تشبه وجوه الأطفال، وسعة صدرها أضيق من الرجل، والعمود الفقري أقل طولاً، وأطرافها أخف وزناً كما جعلت عضلاتها أقل نمواً من عضلات الرجل، وكميات الدهن في المرأة أكثر وبخاصة في الردف والفخذين وجلدها رقيق وتحتوي على سائلات مائية أكثر وشعرها على الجسم قليل جداً بل يكاد يكون معدوماً ولذلك يقال عنها الجنس الناعم ومخها أصغر وأخف وزناً من مخ الرجل. إذا كان هذا الاختلاف في الناحية الفسيولوجية، فهناك اختلاف في الوظائف فهي مصابة بالطمث، والحمل، والوضع، والإرضاع كما أن الرجل أقوى منها في سير الدورة الدموية في جسمه، لذا فهو قوي التنفس، ويفرز كمية من العرق أكثر منها. إن المرأة منذ سن المراهقة يتغير شكلها وتظهر المعالم الدالة على أنوثتها، لأن غذاءها يعرف إلى تكوين لحم وشحم، فيستدير وسطها وينهد ثدياها، ويتسع حوضها، وقلما يطرأ تغيير على تكوين مخها وأعصابها في حين أن الفتى ينصرف غذاؤه إلى تكوين الأعصاب ونمو المخ وكثرة تلافيفه ولذلك هناك اختلاف من الوجهة العقلية فالمرأة تدرك الأفكار الواضحة المختصرة وتنقصها الدقة في إدراك الطيبات، وذلك بعدم اهتمامها بالموازنة والتدقيق، لأنها عاطفية في تصرفاتها، يتحكم فيها الشعور والإحساس أكثر من تحكم الرأي والتدبير، لذلك فهي كثيرة الانفعالات حادة المزاج فهذا التكوين الإلهي الذي ليس لأحد التدخل فيه ينشر على الفتاة الأنوثة الساحرة في دورة المراهقة ولذلك قالوا عنها الجنس اللطيف. في حين ينمي في الفتى مخه وتكوين أعصابه، إن هذه الفوارق تساير الفتى والفتاة وهما يتقدمان في

سلم الرقي الاجتماعي، لكن قد يتدخل التثقيف والترويض البدني في تهـذيب هذا الاختلاف بالتعديل وبمقتضى هذه الفـوارق سـنت الأديـان السـماوية شرائعها متمشية مع الحالة الخلقية والاجتماعية للعصور التي ظهرت فيها[1].

ثم إن مسألة أن الذكر ليس كالأنثى في الخلـق والتكـوين والاسـتعداد والمواهب فعلى المرأة أن تعرف أن لهـا فطـرة لا تخالفهـا ولا تبعـدها الحضارة الحديثة عن الوظيفة الأصلية التي خُلقت لها ولا يخرج بها العلـم إلى دعوى المشاركة في كل شيء لأن داعي الفطرة في نفسها ونداء الطبيعة من بين جوانحها أقوى من كل شيء وهذه هي القاعدة الأصلية، ومما لاشك فيه أن كل قاعدة لها شواذ فقد تكون من النساء من يتفوقن على الرجال، لكن ليس غالبا. ونقرأ في ذلك قول الله تعـالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾(النساء، آية: 34). وقـيم الغرب والتي ليست محكومة بقيم الأديان السماوية وإنمـا محكومـة بقـيم وضعية وفق تنظيم أشخاص ووفق مزاجهم وتعكس نفسيتهم المتقلبة وتسـير تبعاً للمصالح والأغراض فهم قالوا لا فرق بين الرجل والمرأة ولكننا نقـول هناك فرق لأننا نعتقد ونؤمن بأن القيود التي وضعت حـول المـرأة هـي لصيانة إنسانيتها فالمرأة الغربية التي أجبرت على ممارسة الحرية للعلاقات الجنسية والتي تمارس في سن مبكرة والمجاهرة بذلك ومباركة المجتمعـات لذلك بأسم الحرية الشخصية أدت إلى أهدار الشباب للقيم الأخلاقيـة والـدين وأصبح همه إشباع شهواته بصخب وجنون، وارتبطت الحرية في مفهـومهم بحرية الجسد والغوص في الجنس الأمر الذي جعل هذه المجتمعات تعـاني من الفساد الاجتماعي والتحلل الخلقي، وابتذال كرامة الإنسـان، وعـزوف كثير من النساء عن الإنجاب والرجال عن مسئوليات الأبنـاء، وأصـبحت

[1] منصور الرفاعي عبيد، المرأة ماضيها وحاضرها.

مشاكل المجتمعات عليها من الأفراد الذين ينشئون وهم يجهلون أبـــويهم، أو يعيشون مع أمهاتهم فقط.

إن ما يسمى بحرية المرأة هو حريتها أن تسلك مسلك الإباحيـــة وتفـــتح المجال للرجل أن يشبع غرائزه الجنسية دون ضوابط ولذلك أتيح للفتـــاة أن تخرج من بيت الأسرة لتعيش مع صديقها وليس لأســـرتها أي دور عنـــدما تصل إلى السن القانوني وهو ستة عشر عاماً فهي تمـــارس الجـــنس مـــع صديقها دون ضوابط مثل الزواج وغيره ثم بعد فترة يتركها هـــذا الصـــديق ليبحث عن أخرى ثم إن القانون يسمح لها أن تبيع جسدها ليستمتع الرجل بها وتتولى شركات الدعارة استثمار هذا الجسد والترويج لـــه والدولـــة تأخـــذ ضرائب على هذا المال البغيض الذي ينتهك حرمة وكرامة هذه المرأة كـــل ذلك من أجل إشباع غرائز الرجل، ثم إن هذه المرأة بعد أن تكبـــر تصـــبح منبوذة ليس فيها فائدة. إن المرأة في أوربا التي تدعي أنها أمـــة متحضـــرة المرأة فيها عبارة عن دمية الكل يتسلى بها فهي عندما تكـــون شـــابة الكـــل يرغب ودها لحاجة في نفسه والعلاقة الزوجية هي عبارة عن تعامل مـــادي بحت والمرأة في أوربا وغير العالم الإسلامي عندما تكبر الكل يهجرها، فإن كان لها رصيد في المصرف (البنك) فإنها تستفيد منه في تـــوفير الخـــدمات السكنية والعناية الصحية لنفسها، أما إن كانت فقيرة فإن الشوارع والطرقات والكباري مكان إقامتها فلا أسرة ولا أبناء يعرفونها وهذا نتائج حرية المرأة والتي يتشدق بها الغرب ويرغب توريدها إلى العالم الإسلامي. فالضـــوابط الشخصية التي يرى الإسلام في بناء حياة الفرد عليها هي الاســـتقامة علـــى قوانين الفطرة بطبيعته التي أودعها الله في الإنسان وإتباع هـــذه القـــوانين وعدم الخروج عليها، وقوانين الفطرة تلزم تربية الناس على حياة الطهـــارة والعفة والشرف والفضيلة والتقـــوى، لأن الخـــروج علـــى هـــذه التربيـــة

والانحراف عنها يعتبر خروجاً على القوانين التي أنشأ الله عليها الكون والسموات والأرض والكائنات ومنها الإنسان.

﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(طه، آية:50) فإذا تجاوز الإنسان الحدود التي وضعها الله، والقوانين التي أمره بالتزامها في الدنيا، فإنه بسلوكه ذلك يظلم نفسه ويعرضها لعقوبات تفرضها عليه قوانين الله المودعة في الطبائع لأن «من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» ولهذا حرم الإسلام كل أمر يضر بالإنسان في حياته الدنيا مثل الخمر والزنا وغيرهما، كما حرم كل علاقة غير شرعية في المعاملات البشرية على المستوى الشخصي والاجتماعي وسد الأبواب والوسائل المؤدية إلى المحرمات إذن حرية المرأة في الإسلام تقوم على ضوابط من الاستقامة والعفة دون ضوابط أخرى دعا الإسلام إلى الزواج باعتباره الوسيلة الطبيعية لحل مشكلة الحاجة الجنسية ودون التلاعب بعواطف المرأة وجسدها إلا بضوابط وهو الزواج الذي فرضه الإسلام لضمان صيانة المجتمع من مظاهر التحلل الخلقي والفوضى في العلاقات، هذا بالإضافة إلى الأمر بالاحتشام والنهي عن السفور والتبرج وإظهار المحاسن من النساء لأن هذه الأشياء هي التي تثير الرجال وغرائزهم وتجعل كلا من الجنسين يبحث عن الآخر لإرواء ظمأه، وإطفاء سعار الشهوة فيه، ولا يشك مسلم في حرمة ما ترى من لباس تلبسه كثير من النساء تبعاً لخطوط «الموضة» ونزولاً على رغبة بيوت الأزياء العالمية والمؤسف أن النساء في دول إسلامية معينة مأخوذات بهذا البريق وسارة بنشاط وراء مظاهر العرى والتحلل ظناً منهن بأن ذلك مرتبط بالتحضر والمعايشة للعصر، بينما نجد النساء في دول عانت من السفور ومظاهره التحلل وأوبئته، يتجهن إلى الأخذ بالتعاليم الإسلامية في اللباس والمظهر والسلوك والجوهر أيضا وهذا دليل على فشل دعوة الغرب وغيره بحرية المرأة في اللباس والمعاشرة والاختلاط التي كانت نتائجه إذلال المرأة

وعبوديتها للرجل ورغباته ودعوتها إلى العمل على كل ما يثير غرائز الرجل على حساب كرامتها وعفتها.

أيتها الأخوات المسلمات لا تنخدعن بالدعوات التي يطلقها الغرب بتحرير المرأة وحقوقها فهي دعوات باطلة مدمرة فعليكن النظر إلى ما يحدث للمرأة الغربية عدن إلى شريعة الإسلام الذي رفع حيف الرجال عنكن وامتهانهم لكن، في جميع الأمم القديمة والحديثة وإتباع الملل والقوانين الوضعية وأن الاهتداء بما جاء به الإسلام يذهب بما بقي من الظلم لبنات جنسكن في بلاد الحضارة المادية التي يشكو أخواتكن من مصائبها وأرزائها ولا يهتدين إلى النجاة منها سبيلا، وشرها عليهن وعلى الإنسانية إباحة البغاء والاتجار بالنساء يسوقهن كالشاه والخنازير من قطر إلى قطر وقذفهن من حضن إلى حضن، فيا حسرة الإنسانية عليهن وبالمصاب الفضيلة بهن إن الإصلاح الإسلامي يقضي بأن يكون لكل امرأة كافل شرعي يكفيها كل ما يهمها لتكون بنتا مكرمة فزوجا صالحة فأما مربية، فجدة معظمة، ومن حرمت الزوجية أو الأمومة، لم تحرم الكفالة والكرامة ولو نفذ شرعه في أوربا والبلاد المرزوءة لنفوذها وسيطرتها لزال منها البغاء الرسمي القهري ولما وجد في أوربا عشرات الملايين من الأيامي، المحرومات الحياة الزوجية وفيهن من ينفقن على أنفسهن وعلى أولاد لهن شرعيين وغير شرعيين فمصائب النساء ورزاياهن في تلك البلاد بالنسبة إلى مجموعهن أعظم من رزاياهن في البلاد متجهة نساؤها بتقليديهن في الخلاعة والإباحة وطلب مساواة الرجال وأولئك لم يطلبن هذه المساواة بالرجال في كل شيء، إلا لأن الرجال قد حرموهن حقوقهن الإنسانية التي قررها الإسلام[1].

بهذا المفهوم يا معشر الجنس اللطيف لو علم نساء الغرب جميعاً أحكام الشريعة الإسلامية حول حقوق المرأة وحريتها لألفن الأحزاب والجمعيات

(1) محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام.

للمطالبة بها وإنقاذ الحضارة من فتنة في الأرض وفساد كبير إزاء انتهاك كرامة المرأة واللعب بعواطفها وجرها إلى الإباحية كما يحصل للمرأة الغربية تحت ما يسمى بحرية المرأة وحقوقها إن على المرأة المسلمة أن تفتخر بما قدمه الإسلام لها من حقوق وحرية وعليها الكف من الافتتان بتقليد نساء الغرب فيما يطلب من إعطائهن حق مساواة الرجال في كل شيء.

15- رواية رجاء عبد الله الصانع

بنات الرياض

رواية رجاء عبد الله الصانع عن بنات الرياض رواية جيدة من حيث الأسلوب وسرد الأحداث لأبطال الرواية لكن المضمون تشوبه الشوائب ومغالطات تنم عن شعور بالذنب والتلون في المزاج وصراع داخلي بين مؤثرات بيئية لمجتمع محافظ ملتزم بالدين وتعاليمه والحدود التي يفرضها الدين الإسلامي على تحرك المرأة في هذه البيئة وبين مبادئ من خارج هذه البيئة المحافظة وهي بيئة منفتحة تمارس الحرية المطلقة الغير محافظة، وفي نفس الوقت غريبة عن المجتمع الإسلامي وقيمه وتظهر هذه الرواية الإعجاب الكبير بالثقافة الغربية وهذا ناتج من نتائج سيطرة الثقافة الغربية على بعض من هؤلاء الأفراد الذين ينتمون لدين الإسلام اسماً ويرون الدين الإسلامي فقط أداء عبادات من صلوات وغيرها ولكنهم لا يلتزمون بما تأمرهم هذه العبادات من سلوكيات فيها الطهارة والعفة والابتعاد عن هذه الموبقات ولهذا فإن هذه الرواية تعبر عن راوية هذه الرواية ورأي رفيقاتها وبعض المتأثرين بهم وهم قلة والحمد لله ولهذا هناك عدة انتقادات لهذه الرواية وتجعلها ضعيفة ومبتذلة وتعبر عن مسألة نفسية مريضة اسقاطية تفرز عن صراعات داخلية للروائية وبطلان هذه الرواية وتظهر في الرواية مسائل كثيرة منها:

أولاً: عنوان الرواية بنات الرياض، فقد عممت هذه الحالة على جميع بنات الرياض وأنهن ثائرات على قيم المجتمع ومبادئه وعقيدته وأظهرت بنات الرياض كلهن يسلكن هذا السلوك الشاذ المريض بمعنى أن حوالي

اثنان ونصف المليون من سكان الرياض ثائرون على هذه القيم بأنهـا قـيم بالية من أيام العصور الحجرية المظلمة وأن من يلتزم بهذه القيم يعتبر إنساناً متزمتاً ومن جماعة الدراويش وهذه فيها خطورة على مبادئنا وقيمنـا وكـل أمة تفتخر بقيمها ونحن نفتخر بقيمنا لأن هذه القيم نابعة من عقيدة سـماوية وليست قوانين وضعها البشر الذين يتلون مزاجه حسـب أهوائـه وحالتـه النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

ثانياً: هذه الرواية أبطالها أربع بنات ومجموعة من الرسائل التي ترسـل عبر الإميلات ولا نعرف مصدرها ولكن نركز على بطلات هـذه الروايـة فواحدة من حريملا والثانية من القصيم والثالثة من جدة والرابعة من الكويت وأيضاً هناك خامسة تنضم إليهن من الشرقية وواحدة والدتها مـن أمريكـا معظم ثقافتها هي ثقافة أمريكية.

ثالثاً: جعلت من بنات الرياض مجتمع ارسـتقراطي يسـوده الانحـلال فالخمور والتدخين من سجاير وشيشة ورقص وغناء هـذه هـي السـمات السلوكية التي تعبر عن الحياة الثقافية والفكرية التـي يـؤمن بهـا مجتمـع الرياض كما تصورها الرواية في روايتها.

رابعاً: هذه الرواية ما هي إلا اقتداء براوية نوال السعداوي التي شـوهت حال المرأة في المجتمع المصري ومسألة التختين للبنات مما حدي بها إلـى تصوير الختان في فيلم وعرضه على الشاشات في محطات تليفزيونية غريبة بصورة فاضحة بعرض عورات هذه البنات على المشـاهد الأوربـي دون حياء ومسئولية من نوال السعداوي ويبدو أن رجاء الصانع فـي المسـتقبل سوف تخرج لنا رواية أكثر فضيحة من هذه الرواية مشابه لروايـة نـوال السعداوي.

أريد أن أهمس في أذن كاتبة هذه الرواية الفجة أن معظم بنات الريـاض من أسر فاضلة محافظة ومن مجتمع متدين ولذلك فهي أسر متماسكة تسـير على نهج الإسلام وتعاليمه في التربية وخوض غمار هذه الحياة بنـات هـذا المجتمع ناجحات في زواجهن تحت مظلة العفة والطهارة وناجحـات فـي أعمالهن منهن الطبيبات والمعلمات والموظفات والمربيات لأولادهن وينظرن إلى الإسلام ليس فقط أنه عبادة ورهبنة بل هو سلوك وحيـاة لأن الإسـلام ينظر إلى المرأة بأنها حرة ولها نصيبها في الحياة الكريمة عندما شرق نوره وأسفر عن جو مشرق بالحياة الطيبة، والأمل المشحون بالخير وبالأسـلوب العظيم المتسم بالأدب والاحترام في الحيـاة الجديـدة ذلـك حكـم للحقيقـة والتاريخ، وليس لعاطفة الدين.

إن المرأة إن وفقت إلى من يتعهدها ويصلح شأنها ويزيل العوائق من أمامها كانت سبيل الكمال والنهوض بالأمة، إذن هي الخير كل الخير وهي الأستاذة الكبيرة للأجيال، لكن إن منيت بمن يموه لها الباطل ويزين لها الشر ويقويها ويدفع بها إلى الفساد والانحراف انتكست حياتها وحالتها وأهدرت كرامتها وإن هي تركت وأمرها وخليت وسبيلها كان شأنها كشأن دقائق الكنوز في فقر الأرض فتتحول الأزمنة وتبدل الأمم وهي على حالها لا خير فيها ولا أثر لها لذلك طرح المصلحون سؤالا أي طرق التربية أصح للمرأة وأثر في حياتها؟ فكانت الإجابة الدين، فهو الكفيل بإصلاح حال المرأة. إن المرأة سهم من سهام ابليس، فمن رأى امرأة ذات جمال فقص عنها الطرق ابتغاء مرضاة الله، عقبه الله عبادة يجد لذتها، وعلى الأب والأخ والزوج كل منهم أن يعمل على حماية المرأة وصيانتها والحفاظ عليها لأن من فرط في ابنته أو أخته أو زوجته فهو ديوث لا يغار على نسائه والرسول ﷺ ذكر ثلاث لا يدخلون الجنة (الديوث) ومدمن الخمر والمرأة المتشبهة بالرجل والمسترجلة وقد لعنها رسول الله ﷺ في حديث آخر حيث قال: «لعن الله

المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»[1]. وهذا يظهر في رواية رجاء الصانع بنات الرياض إن هذا السلوك الخارج عن القيم وتعاليم الدين نهى عنه الإسلام فلا يجوز الخلوة بالنساء ولا يجوز أبداً للرجل أن يختلي بالمرأة حتى ولو كان طبيباً، ففي الحديث «اياكم والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولا يزحم رجل حنزيراً ملطخاً بطين أو حماة خير له من أن يزحم منكب امرأة لا تحل له» وفي حديث آخر «لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[2] إن الإسلام عندما أباح للمرأة أن تخرج وتتعامل بالبيع والشراء وطلب العلم وما شاكل ذلك، فإنه أمرها أن تصون نفسها، فلا تتزين ولا تتبرج ولا تخضع بالقول وغير ذلك كثير، وقد يقول قائل الحرية حق للمرأة فالإسلام لا يمانع أبداً في الحرية ولا يحجر الإسلام على المرأة ولا يقيدها لأن الحرية حق للناس ولكن في دائرة الفضيلة، فلو جعلنا الحرية حقاً لهم وهم يشيدون دعائم الرذيلة ويهدمون صرح الفضيلة فليس ذلك من الحرية بشيء، الإسلام أباح للمرأة أن تحضر الاجتماعات العامة وتشهد الصلاة في المسجد لكن بالحشمة والوقار والسكينة، ولكن يا حسرتاه إذا بلغ الاستهتار بالفضيلة حداً لا يطاق إزاء هذه الحالات المخجلة كما اتضح وظهر من رواية رجاء الصانع، حيث لم يرفع أحد صوته مستنكراً لما يحدث، إن المسلمين عندما غفلوا عن حراسة دينهم والعمل بمبادئه انهارت القيم واضطربت العقلية الإسلامية فلم تدرك ما يهدف إليه الدين، ولم تطبق تعاليمه على حياتنا، والمرأة نصف المجتمع عندما اهتزت شخصيتها اضطرب المجتمع وأصبح المنزل في نظرها سجناً، فحطمت السدود الاجتماعية، فدخنت السجائر وشربت الخمور وشمت الكوكايين وجلست على المائدة الحمراء وامتحنت خطيبها لتدرس عواطفه

[1] رواية البخاري انظر فيض القدير ج5 ص270.
[2] الحلال والحرام، القرضاوي ص141.

واصطحبته إلى الخارج وجلست معه في خلوة وهو لم يكن لها زوجاً شرعياً هذه هي المرأة التي تنصلت من دينها وعقيدتها الذي حفظ لها طهرها وعفتها هذا نوعاً من المتحررات من خرجن عن دائرة الفضيلة إلى دائرة الرذيلة انخدعن بمدينة العصر الأعور الذي يرى الأشياء بعين واحدة عين المادة التي صنعتها وزينها إبليس ومن هم على شاكلته وإذا كانت المرأة اليوم كشفت حجابها المسدول على وجهها الذي غطته بالأحمر والأبيض، فإنها خالطت الرجل للتعرف على غرائزه قبل إنسانيته وأدى جسمها ضريبة الفن في المجالس وصارت أنوثتها اجتماعية لا بيتية وأوهمها الشيطان إن ذلك حقها الطبيعي فقد عاشت في دنيا أعصابها، وفرغ فؤدها من الأمن ولم تشعر بالاستقرار وهذا ما يظهر لنا في رواية رجاء الصانع والتي رسمت حالة بطلات هذه الرواية بأن عشنا في دنيا أعصابهن وفراغ فؤدهن من الأمن ولم يشعرن بالاستقرار وهذا ناتج عن التذبذب وعدم التوافق والتكيف مع بيئتنا التي تستنكر عليهن هذا التصرف الشاذ والمريض. نحن دائماً نسمع بعض الأصوات مطنطنة بتمدين المرأة وحقوقها وحريتها وهي أصوات لها مآرب غير بريئة من الغرض الذاتي، إن التمدين الصحيح هو الذي يقف بالمرأة عند حدودها الطبيعية، خاصة عند نظرية الحق والواجب وتكون عاملة بمنهج الدين الصحيح متمسكة بالفضيلة، لأن الأدب فضلوه على العلم وهو صمام الأمن الذي يحفظ على الإنسان إنسانيته ويجعله يحيا بخصائص روحه الطاهرة فيشعر بالسعادة والهدوء والاستقرار. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾(التغابن، آية:11) إن الرجل الذي يتعقب النساء في مسارهن، يجعل همه ابتغاء المهينا منهن رجل ساقط الهمة مضمور العرض ولا نصيب له من المروءة جبان الشخصية ولا مروءة له ولا حياء عنده نجس الإزار. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(المائدة، آية: 15،16) لا تجد قوماً أبعد مدى في الضلال ولا أقصر يداً من تحقيقه من أناس أجازوا لأنفسهم الحكم على الإنسان وليسوا منه في قليل ولا كثير أباحوا لأنفسهم أن يكتبوا عن النساء في الإسلام فزعموا أنهن قعائد بيوت، لا رأي يبدينه ولا نصيب من الحرية يعتززن بها وتلك نزعات أهوائهم تتكشف كل يوم عن ذلك الإيقاع المبتذل والأسلوب المرذول، وهم يعرفون الإنسان في الإسلام ما شرع للمرأة أن تكون رهينة بيت أو سجينة بل هي ربة بيت أو قائمة بأمره والمسئولة عنه، يعاونها الرجل فيه وتعاونه هي بما سواه. إنها عماد البيت ودعامته، كما أنها لم تدع موطناً عظيماً ولا مشهداً حافلاً ولا عملاً خالداً إلا وكانت عماد أمره، فهي سعدت بالإسلام الذي حرر عقلها وطهر نفسها وصان شرفها، لذلك سارعت إلى رسول الله ﷺ وجلست بين يديه متعلمة ورافقت جيشه مداوية وجالت بين يديه مقاتلة مستبسلة وهاجرت بدينها إلى الحبشة والمدينة المنورة مع السابقين الأولين من المهاجرين فأجزل الله في كل ذلك مثوبتها وأحسن النبي مآبها وأكبر المسلمون مواقفها. هذا وقد دعت وثبة الإسلام إلى أن يكون للمرأة دور في طلب العمل واشتراك في حضور الصلوات وحضور مناسك الحج، كما أنها لم تتأخر عن الخروج للجهاد ولقد هيأ الإسلام المرأة بما أنزل من القرآن الكريم من آيات توجه إلى مكارم الأخلاق وكانت هي سباقة للأخذ بها لأنها نزعت إلى خلق فاضل وبه كان وجودها وبه أفاضت على القوم بروح الحمية وحب التضحية ووحي القبول

لذلك احتملت من العبء أثقله ونالت من النصيب أقله وربما تناولتها المصائب من كل جانب فلا تجد من حسن العزاء ما يطمئن قلبها بمثل ما فعل الإسلام الذي رفعها إلى أبعد ما يطمح فيه خيالها وتصبو إليه أملها وساق لها من أي الذكر الحكيم ما بهر سناه بصيرها وملكت بحجته نفسها واستفادة من بلاغته وحسن بيانة قلبها وأنصتت لما وصف به الله رحمته وعزته وجنته وناره وما أعد للصابرات والمحسنات من جزيل الأجر.

المحتوى

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

المراجع

اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
الإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الدمشقي	رياض الصالحين	مؤسسة الرسالة بيروت 1406هـ
البابطين أحمد بن محمد	المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة	دار عالم الكتب الرياض 1403هـ
قطب سيد	الإسلام ومشكلات الحضارة	دار الشروق بيروت
عبيد منصور الرفاعي	المرأة ماضيها وحاضرها	أوراق شرقية بيروت 1421هـ
رضا محمد رشيد	حقوق النساء في الإسلام	المكتب الإسلامي بيروت 1984م
محجوب عباس	الإسلام ومشكلات الحضارة	دار الشروق بيروت